هذا كتاب ديوان الصبا للأديب
الفاضل شهاب الدين احمد بن
ابى حجلة المغربى رحمة الله
تعالى عليه



## ترجمة المؤلف من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار

هو شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابى بكر بن عبد الواحد المغربى مولدا الدمشقى منشا نزيل القاهرة الشهير بابن ابى حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعماية بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد ابى حجلة عبد الواحد قدس الله روحه * ونور ضريحه * وكنى جده بذلك لصلاح حاله * وتعلق الحجل والوحوش بأذياله * وزاوية جده بالمغرب مشهورة * واحاديث بركته مأثورة * يؤخذ منها التراب لطلب الدواء * والتماس الشفاء * وقدم من المغرب مع ابويه واخوته فبلغوا السول * بزيارة الرسول * صلى الله عليه وسلم * ثم تنقلت به بعد موتهم الأحوال * وشاهد بمصر بعد رؤية ابى الهول الأهوال فصنف كتابه غرائب العجائب * وعجائب الغرائب * وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * لا حسودا ليس يعجبه العجب

وله اكثر من ثمانين مصنفا فى الحديث والفقه والنحو والأدب وله شعر ونثر سيأتى شئ منه فى اثناء هذا الكتاب

م م م
م م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل (للعاشقين باحكام الغرام رضا) وحبب اليهم الموت في حب من يهوونه (فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا) فكم فيهم من عاشق * ومحب صادق * راى نحب فراق الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيى نيله فقضى * احمده حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * وشبب بذكر محبوبه ان كان تهاميا في نجده او شاميا في نوى شعره طورا يمانا اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد * شهادة من اصبح موته لبعده اقرب من حبل الوريد * وقال لعاذله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد * ولو ان ما بي من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم * واشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من اخلص في موالاته * وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراته * صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الذين يحبهم ويحبونه * ويعفون عند ما امرهم ولا يتعدونه * ما ذر شارق * وهام عاشق * اما بعد فان كتابنا هذا كما قيل * كتاب حوى اخبار من قتل الهوى *

وصار

وسار بهم فى الحب فى كل مذهب * مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل *
تشبب فيه بالرباب وزينب * فهم ماهم * تعرفهم بسيماهم * قد تركهم الهوى
كهشيم المحتظر * واصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر * فهم ما بين قتيل وشهيد * وشقى وسعيد * على اختلاف طبقاتهم
واشكالهم * وتباين مراتبهم واحوالهم * وغير ذلك مما تصبح به اوراقه يانعة
الثمر * وتمسى به صفحات فى كل ناحية من وجهها قمر * فاذا نظرت الى الوجود
بأسره * شاهدت كل الكائنات ملاحا * على ان جماعة من العصريين
غلبوا من تقدم بالتأليف فى هذا الباب * ولم يفرق غالبهم فى التشبيب
بين زينب والرباب * وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا *
فربع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور * وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب
محمود مشكور * ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام * وانشد فى تصديق
هذه الدعوى اذا قالت حذام * مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى مجلته
يجل * وصاحب منازل الأحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل *
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل * اخر
فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال * فان قلت
الفضل للمتقدم * وهل غادر الشعراء من متردم * قلت نعم فى الخمر معنى ليس
فى العنب * واحسن ما فى الطاووس الذنب * فدع كل صوت بعد صوتى فاننى
انا الصائح المحكى والاخر الصدا * فكم ترك الأول للاخر * ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

فقد سقط فى يديه * وقيل فى الرد عليه ، ، ،

افخر بآخر من كلفت بحبه * لا خير فى حب الحبيب الأول
اتشك فى ان النبى محمدا * ساد البرية وهو آخر مرسل

وقول ديك الجن الحمصى يرد على حبيب قوله المتقدم ، ، ،

كذب الذين تحدثوا ان الهوى * لا شك فيه للحبيب الأول

* مالى احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يوهل *
فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور
* كذب الذين تخرصوا فى قولهم * ما الحب الا للحبيب المقبل *
* افطيب فى الطعم ما قد ذقته * من مأكل او طعم ما لم يوكل
فقال ديك الجن ايضا حين بلغه قول حبيب هذا
* ارغب عن الحب القديم الأول * وعليك بالمستأنف المستقبل *
* نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد او كوصل مقبل *
وقال ابو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف * وبقوله يجب الاعتراف
لأنه احسن فى المقال * حيث قال * زادوا على المعنى فكل محسن
* والحق فيه مقاله لم تجهل * الحب للمحبوب ساعة وصله *
ما الحب فيه لآخر ولأول * على اننى لم اجد ما فى منازل الأحباب من ذكرى
حبيب ومنزل * ولا تحملت على مصنفه فواعجبا من قلبى المتحمل * ولكن
قصدت التنبيه على ان حسن التأليف مواهب * وان للناس فيما يعشقون
مذاهب * ومعلوم ان الجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون *
ولم يزل كتابنا هذا فى مسودات مندمج * وبيوته من بحورها فى لج
لا ابيح ما فيه من منازل الأحباب لساكن * ولا امكن عاشقا من المرور
بتلك الأماكن * اغارا اذا انست فى الحى انة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه
* حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكى الناصرى ادام الله نشر اعلامه
* ولا اخلا كنانته من سهامه * ما نفذت مراسيم سهام المقل * وتثنى
قوام الحبيب الذى طاب به الزمان واعتدل * فبادرت الى تجهيزه *
وسبك ابريزه * حسب المرسوم الشريف * من غير تسويف ولا تكليف
* ولم ابح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام * لأنه كان
يقال كل ما يصلح للمولى على العبد حرام * لا جرم انه جاء بنظره السعيد
نزهة للنظير * وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر
فهو للسلطان بستان * وللعاشق سلوان * وللمحب الصادق * حبيب

موافق

مواقق * وللمهجور نجوه * وللنديم قهوه * وللناسي تذكره * وللأعمى تبصره * وللشاعر المجيد * بيتا لقصيد * وللأديب الماهر * مثل سائر * وللمحدث قصص * وللحاسد غصص * وللفقيه تنبيه * وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره … وتحلو له عند المرور نوادره
ففيه له في كل يوم وليلة … حبيب ملم او نديم يسامره
ولي فيه نظم ان تضوع نشره … ففي طيه حلو الكلام ونادره
ولي فيه منثور غدا في مقامه … وعرف سناه مشرق الوجه عاطره
ولي فيه من سحر البيان رسائل … اذا ما جفاني احور الطرف ساحره
ولي فيه اسرار الحروف لأنه … ينقطه دمعي فتبدو سرائره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره … خدودي اذا ما خط فيها دفاتره
تمد مداد الدمع اقلام هدبه … فدمعي حبري والسطور محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا … فباشر قلبي من سباني ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلي عاشق … ولا عمرت بالعامري مقابره
وفي غزلي ذكر الغزال ومربع … تطارحني فيه الحديث جآذره
انزهه عن وصف خدر عنيزة … ومنزل قفر سر عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها … جرير كعبد وتقفوه جرائره
يشيب بها فود الوليد لأنه … يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست ارى يوما بدارة جلجل … سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسي ذكرى حبيب ومنزل … فاني لمن اهواه ما عشت ذاكره
اجاور في سفح المقطم جيرة … فيا حبذا المحبوب حين تجاوره
فيا طيف من اهواه طرفي ان غفا … اتهجره بالله ام انت زائره
وحقك لو سايرته بعض ليلة … لسايرت صبًّا ما في الحب سائره
يمثلك الشوق الشديد لطرفه … فيجري به كالحاجري محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق … فيطرق اجلالا كأنك حاضره
وبي من يحج الغصن رمح قوامها … اذا بات في الروض النضير يناظره

اذا اقبلت في الحلي والطيب قل لي ... حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهي غصن لتفاتة ... ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبرد ما القاه من حر هجرها ... وقد حميت يوما علي هواجره
تحصنت في حصن الهوى من عواذلي ... وبات لقلبي جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلي ... لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندما ... يشاهدها يغضي ويطرق ناظره
الغصن خد كالشقيق اذا بدا ... وشعر كجنح الليل سود غدائره
لان طاب ذلي في هواها فانني ... وحقك ممن عز في مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده ... كما اهتز غصن طار في الحب طائره
مليك ترى قبل ما هو كائن ... بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا ... جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صار كالبدر في الدجى ... فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم ... يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة ... بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر باسه ... لان ملوك الارض طرا تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه ... وما هي الا سمره وبواتره
اذا اقترع اشكال الجدال اجتماعهم ... فاي ضمير لم يدبر فيه ضامره
واي كماة لم يرعهم بنزاله ... واي مكان ما علته منابره
واي قصيد بحرها لم يرق له ... وغائص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر النصائح خمسة ... وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما ... تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حو مطرب ... بتشبيبه في الحي يطرب زامره
ولو لم يكن مثل السكردان ما غدا ... بحضرته يوما تطيب حواضره

نعم الفته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح * وتوليت لاجله عمله بنفسي فجاء كما قيل عمل الروح للروح *

اهيم

اهيم بن هام الحبيب بحبه * الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل
وسلكت في تأليفه الاختصار * والاقتصار على النوادر القصار * لانه
كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار * ووضع له نجار * وقال يحيى بن
خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون * واحفظوا احسن ما تكتبون *
وحدثوا بأحسن ما تحفظون * وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيئا
عاداه وسميته ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه موليها * ويعلم انه ان
لم اكن انا للصبابة منها * ما يعلم الشوق الا من كابده * ولا الصبابة الا
من يعانيها * اى والله * قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون
ورتبته على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة اما المقدمة ففي ذكر حد العشق
واشتقاقه وما قيل في وسمه ورسمه واسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه
ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري او اضطراري ونحو
ذلك واما الابواب فالباب الاول في ذكر الحسن والجمال * وما قيل
فيهما من تفصيل واجمال * والباب الثاني في ذكر المحبين والظرفا *
من الملوك والخلفا * والباب الثالث في ذكر من عشق على السماع * ووقع
من النزوع الى الحبيب في نزاع * والباب الرابع في ذكر من نظر اول نظره
* فاحترق من خد الحبيب بجمره * والباب الخامس في ذكر تغير الالوان
* عند العيان * من صفرة ووجل * وحمرة وخجل * وما في معنى ذلك من عقد
اللسان * وسحر البيان * والباب السادس في ذكر الغيره * وما فيها من
الحيره * وقرع سن * ديك الجن * والباب السابع في ذكر افشاء السر
والكتمان * عن ابناء الزمان * والباب الثامن في ذكر مغالطة الحبيب
واستعطافه * وتلافي غيظه وانحرافه * والباب التاسع في ذكر الرسل
والرسائل * والتلطف في الوسائل * والباب العاشر في ذكر
الاحتيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف
معانيه * والباب الحادي عشر في ذكر قصر الليل وطوله * وبرخضا
شفقه ونصوله وما في معنى ذلك والباب الثاني عشر في ذكر

فلة عقل العذول * وما عنده من كثرة الفضول * والباب الثالث عشر في ذكر
الاشاره * الى الوصل والزياره * والباب الرابع عشر في ذكر الرقيب والنمام
* والواشي الكثير الكلام * والباب الخامس عشر في ذكر العتاب * عند
اجتماع الأحباب * وما في معنى ذلك من الرضى * والعفو عما مضى * والباب
السادس عشر في ذكر اغاثة العاشق المسكين * اذا وصلت لعظم السكين
* والباب السابع عشر في ذكر دواعية الجوى * وما يقاسيه اهل الهوى
والباب الثامن عشر في ذكر تعنت المعشوق * على الصب المشوق * وغير ذلك
من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على الجمر * والباب التاسع عشر
في ذكر الدعاء على المحبوب * وما فيه من الفقه المطلوب * والباب العشرون
في ذكر الخضوع * وانسكاب الدموع * والباب الحادى والعشرون في ذكر
الوعد والأماني * وما فيهما من راحة العاني * والباب الثاني والعشرون
في ذكر الرضا من المحبوب * بأيسر مطلوب * والباب الثالث والعشرون في
ذكر اختلاط الارواح * كاختلاط الماء بالراح * والباب الرابع والعشرون
في ذكر عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب
وتشبيه الردف بالكثيب * والباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده في
طلب الأحباب * من الأمور الصعاب * والباب السادس والعشرون في ذكر
طيب * ذكرى حبيب * والباب السابع والعشرون في ذكر طرف يسير من المقاطيع
الفائقه * والأغزال الرائقه * مما اشتمل على ورد الخدود * ورمان النهود
* وغير ذلك * مما هنالك * والباب الثامن والعشرون في ذكر طرف يسير
من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال * وما في معنى ذلك من
ذكر مولاتهم * ووصف آلاتهم * والباب التاسع والعشرون في ذكر
من ابتلى من اهل هذا الزمان * بحب النساء والغلمان * والباب الثلاثون
في ذكر من اتصف من العفاف * بأحسن الأوصاف * واما الخاتمة
ففي ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من غني وفقير * وكبير وصغير * على
اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم استوعب هذا

الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * ومن هنا انشرع في ذكر ما يجلب
الراحة كمراوح الجيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش * وهذه
المقدمة في ذكر رسم العشق ووسمه * ومدحه وذمه * وذكر اختلاف الناس فيه هل هو
اختياري او اضطراري ويشتمل ذلك على خمسة فصول * الفصل الاول
في رسم العشق ووسمه * وما قيل في اسمه * اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم
العشق وحده * وجزر بحره المتلاطم ومده * وما للناس فيه من الكلام المباين
* والقول المتباين * اذ فيهم من التبس عليه * فسماه باسم سببه او باسم
ما يؤول اليه * وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب * واصابة الصواب
وعذرهم الظاهر * قول الشاعر * يقول اناس لو نعت لنا الهوى *
ووالله ما ادري لهم كيف انعت * فليس لشئ منه حد احده *
وليس لشئ منه وقت موقت * فمن حدوده المليحه * ورسومه الصحيحه * قول
فيثاغورس الذي اخذ عن اصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما
ذكره صاعد في كتاب الطبقات العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى
ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي
في الطمع والفكر والاماني والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم
المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء او التهاب الصفراء
وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر
يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون
فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات
فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعة وعشرين ساعة
فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه
في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه
هرب دمه واستحال لونه قال الامام بن الامام محمد بن داود الظاهري
واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه
بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه

العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيؤ للتلطف فيه بزوال سببه فأما اذا
وقع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لأتصال
الفكر وكان اتصال الفكر سببا لأحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية
السوداء فهذا هو الداء العضال الذى يعجز عن معالجته الأطباء ومنها
قول افلاطون الآخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية
متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعي محدث
للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض
النفسانى والجنون الشوقى فيؤديان الى الداء العضال الذى لا دواء له ومنها
قول ارسطاطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق
عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى
ويصم وقول الشاعر * فلست براء عيب ذى الودكله * ولا بعض ما فيه
اذا كنت راضيا * وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا
وقول الآخر * وعين السخط تبصر كل عيب * وعين اخى الرضا عن ذاك عميا
ومنها ما مشى عليه ابو على بن سينا وغيره من الأطبا * العشق مرض وسواسى
شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض
الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء
الظرفا العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا
ظريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقى اوجبها كرم الله
تعالى على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الألفة
وهى موجودة فى الأنفس بقدر مراتبها عند اربابها فما احد الا عاشق لأمر يستدل
به على قدر طبقته من الخلق ولأجل ذلك كان اشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين
زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الأخرى مع كونها مخبرا لهم عنها بصوت
اللفظ وقال الأصمعى سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى
وخفى عن ابصار الورى فهو فى الصدور كامن ككمون النار فى الحجر ان قدحته
اورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه

واحتج بقول قيس * قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين
* العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين *
* انى جننت فهاتوا من جننت به * ان كان يشفى جنونى لا تلومونى *
وقيل لابى زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء اهل الظرف
* وقيل لابى وائل الاوضاحى ما تقول فى العشق فقال ان لم يكن طرفا من
الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين
المتحرك وقال المأمون ليحيى بن اكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء
فيهيم بها قلبه ويوثر بها نفسه فقال له ثمامه اسكت يا يحيى انما عليك
ان تجيب فى مسئلة طلاق او محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن
فقال له المأمون قل يا ثمامه قال العشق جليس ممتع وانيس مونس وصاحب
مالك مسالكه لطيفه ومذاهبه غامضه واحكامه جاريه ملك الابدان
وارواحها والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها قد اعطى عنان طاعتها
وقوة تصرفها وتوارى عن الابصار مدخله وعمى عن القلوب مسلكه فقال
له المأمون احسنت يا ثمامه وامر له بالف دينار وهذا القدر كاف فى معرفة
العشق ورسمه * الفصل الثانى فى اسبابه وعلاماته اقول هذا
الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق النفسانيه * وعلاماته الجثمانيه *
على ان هذا النوع الاخير كثير * والمتصف به من المحبين جم غفير * وسنورد من
ذلك ما يعذب وروده * ويخفق كقلب العاشق بنوده * ان شاء الله تعالى قال
بعض الاطباء سبب العشق النفسانى الاستحسان والفكر وسببه البدنى
ارتفاع بخار ردى الى الدماغ عن منى محتقن ولذلك اكثر ما يعترى العزاب
وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند
غيبة الطبيب ان اكل الطيور المسموعه يورث العشق وقال ايضا فى الخلاصة
علامته نحافة البدن وخلو الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخره
وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كانه ينظر الى
شئ لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعدا ونبض غير منتظم

لاسيما عند ذكر اسماء وصفات مختلفة فانها اشتد عنده اختلاف النبض
وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكي للعشق من النجوم زحل
وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشتركوا في اصل المولد او اجتمعوا او تناظروا
في اشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة في بيت احدهم او في حده وكان رب
البيت وصاحب الحد ناظرا اليه او كانت الكواكب المذكورة ناظرة في اشكال محمودة
او مقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمني والطمع والهم والهيجان والاحزان
والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق
والخلاعة وتمويق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة تهيئ العشق
والوله والهيمان والرقة وتبعث في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث
والمغازلة التي تبعث على الشبق والغلمة وتدعوا الى الطرب وسماع الأغاني
وماشابهه وقال بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر في برج واحد
او متناظرين من تثليث او تسديس فمتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل
واحد منهما لكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد او يتناظر السهمان
من تثليث او تسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك
يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة
وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فجلب المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويمتزجان
ويؤيد هذا قول الخبزارزي لكن ارواح المحبين تلتقي * اذا كانت الاجساد عنهن نوما
واحسب روحينا من الأصل واحدا * ولكنه ما بيننا منقسما
ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت * له مهجتي بالغيب لما تألما
ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الأرض وذلك من مهابته
له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم
بل يكون خافض الطرف الى الأرض قال الله تعالى مخبرا عن كمال ادب نبيه
صلى الله عليه وسلم في ليلة الأسرى ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الأدب
فأن البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ما هو وراءه ومنها
اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع اسمه كما قيل

وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشجان الفؤاد وما يدرى

دعى باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى

دعى باسم ليلى اسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام فى بلد قفر

ومنها انه يستدعى سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام فى اخباره ويحب اهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكنى اكناف دجلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وقال اخر * احب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب *

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبته القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتى به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك والاسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطى فى المشى عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبذله سوالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبى صلى الله عليه وسلم فى الحروب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل * يفديك بالنفس صب لو يكون له * اعز من نفسه شئ فداك به * ومنها الانبساط الكثير الزايد والتضايق فى المكان الواسع والمحاربة على الشئ يأخذه احدهما وكثرة الغمز الخفى والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما امكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما ابقى المحبوب فى الاناء قلت ومنها تقبيل نعله فى غيبته وقد رايت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما فى هذا من اللذة ثم انى وجدت هذا المذكور بمكة وارسل معى كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف امكن الصبر يا زيد عن عمرو فانشد * ولله منى جانب لا اضيعه * وللهو منى والخلاعة جانب

* ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

امرّ على الديار ديار ليلى * اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي * ولكن حبّ من سكن الديارا

ومنها الأتفاق الواقع بين المحبّ والمحبوب ولاسيّما اذا كانت المحبّة محبّة مشاكلة ومناسبة فكثيرًا ما يتكلّم المحبوب بكلام ويريد ان يتكلّم به فيتكلّم المحبّ به بعينه وكثيرًا ما يمرض المحبّ بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا غير مرّة للسلطان الملك الناصر احمد لمّا كان بالكرك مع محبوبه الشهيب فأنّه كان يمرض لمرضه ويصحّ لصحّته اخبرني بذلك من الارباب في قوله ممّن كان في خدمته مُلازمًا له وامّا وقوع ذلك للمتقدّمين فكثير فمن ذلك ما حكي عن ابي نواس انّه مرض فدخل عليه بعض اصحابه يعودونه فوجدوا به خفّة قال فانبسط معنا وقال من اين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفي فقال وكانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الأن فقال والله لقد انكرت علّتي هذه ولم اعرف لها سببًا غير انّي توهّمت انّ ذلك لعلّة نالت بعض من احبّ ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعًا ان يكون الله عافاه منها قبلي ثمّ دعا بدواة وكتب الى عنان

انّي حممت ولم اشعر بحمّاك * حتّى تحدّث عوّادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمّى لتطرقني * من غير ما سبب الّا بحمّاك
وخصلة كنت فيها غير متّهم * عافاني الله منها حين عافاك
حتّى اذا اتفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

ومنها انّه اذا سئل عن امر اجاب بخلافه وكثرة التثاوب والتمطّي والتكسّل اذا نظر الى محبوبه ونكته في الأرض بأبهام رجله وهذا كثيرًا ما يقع للنساء وعضّها على شفتها السفلى وضربها على عضديها او ثدييها واظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انّها تري ذلك لبعض اهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث في غير موضعه (ايّاك اعني واسمعي ياجاره) ومنها الأنقياد للمحبوب في جميع ما يختاره من خير وشرّ فأن كان المحبوب مشغوفًا بالعلم اجتهد المحبّ في طلبه اشدّ من اجتهاده وان كان مشغوفًا بالنوادر والحكايات الحسان والأخبار المليحة المستحسنة بالغ المحبّ في طلبها وحفظها وان كان مشغوفًا بحرفة او صناعة اجتهد في تعلّمها

ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب
الكمال والبلية كل البلية ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله
حبه على التشبه به وفي اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل
سراويل معشوقته فوجد في تركته اثني عشر حملا وفردة من السراويلات ذكره
الصيمري وعشق اخر الهاونات من اجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته
عشرة الاف منها وقد وقفت من هذا على اشيا كثيرة والجنون فنون *
الفصل الثالث في مراتبه واسمائه اقول هذا الفصل عقدناه لذكر
مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته
ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر
والرمح والخمر والسيف والداهيه * والمحبة المحرقة وما ادراك ما هيه *
وضعوا لها اسماء كثيره * وكانت عنايتهم به شهيره * ولا شئ يعدل اعتنائهم
بالحب * الذي يسلب اللب * فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق
ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر * ان التي زعمت فؤادك ملها *
خلقت هواك كما خلقت هوى لها * ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب كما
قال الشاعر * ولقد اردت الصبر عنك فعاقني * علق بقلبي من هواك قديم *
وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله
من الكلفة وهي المشقة يقال كلفه تكليفا اذا امره بما يشق عليه فكأن الحبيب
يكلف المحب ما لا يطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم والكلف ايضا
لون بين السواد والحمرة وهي حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن
المقدار الذي اسمه الحب وفي الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء
من جملة انواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى
الطبيعي الى الفساد وهو امر هذه الاسماء وقل ما نطقت به العرب وكأنهم ستروا
اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم
القديم وانما اولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة

الا في حديث ابن داود الظاهري كما يأتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب
بالمحبوب ويكون في عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر
وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق
وتصفر قاله الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت
لزج فسمي العشق الذي يكون بالانسان لزوجه ولصوقه بالقلب وقال ابن
الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر
فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل
والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة
عاشق ايضاً وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم * ثم الشغف قال العزيزي
في غريب القرآن شغفها حباً اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف
القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حباً ارتفع
حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال اي رؤسها وقولهم
فلان مشغوف بفلانة اي ذهب به الحب اقصى المذاهب * واما الشعف
بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق
قلبه وقد قرئ بهما جميعاً شغفها حباً وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج اعني
مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه واحرق
جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته
فهذا هو الهوى المحرق * ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة
وشدة الوجد من عشق او حزن * ثم التتيم وهو ان يستعبده الحب ومنه
سمي تيم الله اي عبد الله ومنه قيل رجل متيم * ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى
ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم * ثم التدله
وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اي حيره * ثم الهيام وهو ان
يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيم بالكسر الابل
العطاش وقوم هيم اي عطاش * والصبابة رقة الشوق وحرارته
والمقة المحبة والومق المحب * والوجد الحب الذي يتبعه الحزن واكثر ما يستعمل

في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون
وانما استعملته العرب في المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن
والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق
نزاع النفس الى الشيء وقد جاء في السنة واسئلك النظر الى وجهك
الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول
بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لأنه سفر القلب الى المحبوب
فاذا وصل اليه انتهى السفر
والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر
* واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام *
قالوا لأن الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب
وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحادث
عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب قال
ابن الرومي
اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني
والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان
والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل
الشوق وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح
به الحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر
القلب من حب او سكر او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت
وحاجة المحب اشد الى محبوبه وقال الراجز
اني سابدي لك فيما ابدي
لي شجنان شجن بنجد
وشجن لي ببلاد السند وقال اخر

تحمل اصحابي ولم يجدوا وجدي * وللناس اشجان ولي شجن وحدي
والوصب الم الحب ومرضه فان اصل الوصب المرض * والكمد
الحزن المكتوم والكمد تغير اللون * والأرق السهر وهو من
لوازم المحبة * والحنين الشوق والجنون اصل مادته الستر
والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره
فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا * والود خالص
الحب والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة *
والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه وهي مرتبة
لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم
ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه لو كنت متخذا من اهل الأرض
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا * وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة
جميع اجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا *

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل وقال محمد حبيب الله
وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لأن الخلة خاصة وهي
توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين * وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل
من انعام الحب العام * على الخاص والعام

حللت بهذا حلة ثم حلة * بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب
وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد
يكون الذي له الدين قال كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

والوا

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسماء اخر غير
هذه اضربت عنها خوف الأطالة * والمحبة أم باب هذه الأسماء
كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه الا ترى ان كل محبة
شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور
فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشئ فيتبعه
غيا كان او رشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال
للعاشق والواجد والذى يهوى الأمر محب وللناس فى حد المحبة كلام
كثير فقيل هى الميل الدايم بالقلب الهائم وقيل هى قيامك لمحبوبك بكلما
يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قال المتنبى

* يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل *

وقيل هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

* ومن عجب انى احن اليهم * وأسال عنهم من لقيت وهم معى *
* وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين اضلعى *

وقيل هى حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر

* خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فاين تغيب *

وفى اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى
سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب
وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك
فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه او ما يعلو الماء
عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب
الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره
اذا امتلاء به كذلك اذا امتلاء القلب من الحب فلا اتساع فيه
لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذى يسميه المصريون الزير
ما احسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز
الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

* وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب *
* اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب *

الفصل الرابع فى مدحه وذمه اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه * وترياقه وسمه * فكم مدحه عاقل * وذمه متغافل * هيهات فات من ذمه المطلوب * ومن اين للوجه المليح ذنوب * فمن خصاله المحموده * وفضائله الموجوده * ما قاله العلامة قدامه * العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفى ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان العجم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكائد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويونس اليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب * وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه * ولطفت معانيه * وملحت اشاراته * وظرفت حركاته * وحسنت عبارته * وجادت رسائله * وحلت شمائله * فواظب على المليح * واجتنب القبيح * وقيل لآخر كذلك فقال لا باس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق * وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرني انى خلى من الهوى * ولو ان لى ما بين شرق ومغرب

وقال اخر

ولا خير فى الدنيا بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وانت خال مفرد

وقال آخر

انا لمرتذق في هذه الدار صبوة * فموتك فيها والحياة سوآء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر * حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى احدا اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا مضمنا لقول المتنبي هذا مع زيادة التوريه

ان تسالوا عما لقيت من الهوى * فانا الذي مارسته وعرفته

خالفت في رشف الرضاب وطعمه * وعذلت اهل العشق حتى ذقته

حكي ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التي قيل انه عشقها ان تجني عليه وقولي اني لا اصلح الا لشريف النفس عالي الهمه ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك في حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا اعظمهم اجرا قالوا وارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم ضعيفة وارواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذي سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومبادئهم تزيد في العقول

وتحرك النفوس وتطرب الأرواح * وتجلب الأفراح * ويتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الأبطال ان يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفا فمن دونهم تدور اخباره وتروى اشعاره * ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم * ولا جرى له رسم * ولا رفع له راس * ولا ذكر مع الناس * وقال المرزبانى سئل ابو نوفل هل سلم احد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من فى طبعه ادنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز وظرف اهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلوا احد من صبوة الا ان يكون جافى الخلقة ناقصا او منقوص البنية او على خلاف تركيب الاعتدال

فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر *

ويكفى العاشق ان يرتاح للمعروف * واغاثة الملهوف * كما قيل

* ويرتاح للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *

وقال ابو النجاب رايت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله * فيقذف فى قلبى وينغلق الصدر *

فلا ينقضى ما فى فؤادى من الهوى * ومن فرحى بالحب وينقضى العمر *

فقلت يا فتى اما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملاء قلبى فتمنيت المنى والله ما سرنى ما بقلبى منه ما فيه امير المؤمنين من الملك وانى ادعو ان يثبته الله فى قلبى عمرى * ويجعله ضجيعى فى قبرى * دريت برام لا ادرى * هذا دعائى وله قصدت وفيه ترغبت مما يعطى الله سائر خلقه ثم مضى قلت ذكرت هنا ما قاله الأخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعرى ما يعجبك فيها واولها مرار واخرها خمار فقال

لكن بينهما والله نشوة لا ابيعها بخلافتك يا امير المؤمنين اخذه الشاعر فقال ان يكن اول المدام كريها * او يكن اخر المدام صداعا *
* فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا *
واما ما جاء في ذمه * وسريان سمه * فاكثر من ان يحصر فكم ترك الغنيّ صعلوكا * والمالك مملوكا * كما قيل
* ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا *
* تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا *
وهذه الأبيات لبعض ملوك الأندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق اتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع اهله ومصالح دينه ودنياه * ووقع فيما يأباه * اي والله

والعشق يجذب النفوس الى الردى * بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت فنظر الي فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم انشد

انا في امري رشاد * بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي * والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله قال فوالله ما خرجت الا هاربا من الحب ثم قاتل حتى قتل وقال الواواء الدمشقي

سبيل الهوى وعر * وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر * ويوم الهوى دهر

وقال غيره

العشق مشغلة عن كل صالحة * وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

وقال عبد المحسن الصوري

* وكان ابتداء الذى بى مجونا * فلما تمكن امسى جنونا *
* وكنت اظن الهوى هينا * فلاقيت منه عذابا مهينا *

وقال محمد اليزيدى

* كيف يطيق الناس وصف الهوى * وهو جليل ماله قدر *
* بل كيف يصفو لحليف الهوى * عشق وفيه البين والهجر *

وما احسن قول عبد الله بن اسباط القيروانى

قال الخلى الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان انت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم ترد جريه كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته

تنبيه الهوى اكثر ما يستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى * وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ افرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الاية الكريمة والحديث الشريف ان الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو فى الخير والصلاح وهوى مذموم وهو فى الشر والفساد وفى كتاب السهل المواتى فى فضائل بن مماتى ان بعض الصوفية قال انما سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوى بصاحبه الى الهاوية لكان انسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

* فسالتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون *
* فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون *

وقوله تعالى اخلد الى الأرض واتبع هواه قيل اخلد الى الأرض اى سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه ارضية سفلية *

لاسماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض يهبط من السما قال
سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها
الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية * وسبع
حجب ارضية * فكلما دفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء
سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل
القضية ان العشق والهوى اصل كل بلية * وفيه ذل كل نفس ابية *
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء ان يذل نفسه
قال الامام احمد تفسيره ان يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا
مطابق لحال العاشق فانه اذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في * شرع الهوى انف يشال ويعقد

وقال اخر

مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين ابن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا * فاوله سقم وآخره قتل

الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري
او اختياري اقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره * واسفر
كالصباح سفره * اذ للناس فيه كلام من الطرفين * وتبختر بين
الصفين * فقائل بانه اضطراري * وقائل بانه اختياري * ولكل
من القولين وجه مليح * وقد رجيح * ونحن نذكر من ذلك ما يعم
به الانتفاع * ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع * فمن ذلك
ما قاله القاضي ابو عمرو محمد بن احمد النوقاني في كتابه تحفة الظراف
العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال
اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار
والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه

والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل
كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف
ترى هذه وضعته اباختيار منها كان ذلك ام باضطرار لا بل باضطرار
وفقد اقتدار وهذا مما لا يشك فيه ذو لب * ولا يختلج خلافه في قلب
قلت وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه اى رأينه في اعينهن
كبيراً وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس امذين وامنين
من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن
الما لحز ايديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب
كن اربعين امرأة فمات منهن تسع وجداً بيوسف وكمداً عليه
وما احسن قول بعض بني عذره وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم
يموت عشقا في هوى امرأة يالفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور
تجدونه فيكم يابني عذره فقال اما والله لو رأيتم الحواجب الزج *
فوق النواظر الدعج * تحتها المباسم الفلج * لاتخذتموها اللات
والعزى وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت
الله تعالى بها ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختياريه
ورئي ابو السايب المخزومي وكان من اهل العلم والدين بمكان
متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو
قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال
والله للدعاء لهم افضل من عمرة من الجعرانة ثم انشد

ياهجر كف عن الهوى ودع الهوى * للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم * قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى الوانهم * مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم * درر تفيض كانها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذى جسر
الفتح بن خاقان على قوله من ابيات

* ايها العاشق المعذب صبراً * فخطايا اهل الهوى مغفوره *
* زفرة في الهوى احط لذنب * من غزاة وحجة مبروره *

قلت وقد بالغ في هذا الكلام * حتى استحق الملام * فليته اكتفى بما قيل في التمثيل

على انني راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر ان الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعي في ان الميت عشقاً من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف ان شاء الله تعالى وقال التميمي في كتاب امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائني لام رجل رجلاً من اهل الهوى فقال لو كان لذي هوى اختيار لاختار ان لا يهوى ولكن لا اختيار لذي هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفي هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

حكي انه نال ما تمنى لانه عمي بعد قوله هذا وقال ابو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل في سلمى

يلومونني في حب سلمى كانما * يرون الهوى شيئاً تمنيته عمدا
الا انما الحب الذي صدع الحشا * قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما ارادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق

والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدري لا الشرعي الامري انتهى كلامه
وقال عبد الله بن طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد في تفسيره
وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم
الله من العشق ولو كان اختياريا لأزالوه من نفوسهم ومن هنا
يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم في هذا الحال
بمنزلة عذل المريض في مرضه وما احسن قول بعضهم

* ياعاذلي والامر في يده * هلا عذلت وفي يدي الامر *

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب * وانصباب دمع
العاشق الصب * وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه
اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق الذي ذكره
ابن سينا وغيره انه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط
فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم
بان الانسان هو المختار في العشق بتسليط فكرته الواقع في بحار سكرته
قالوا ولأن المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ولهذا
يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم
الله تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا واخبر
ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على
ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى
ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء
قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر
الله عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا املك قلبي لم يقبلوا له عذرا
قلت والقول الصحيح الذي ليس فيه رد * ولا عن محجوبه صد *
التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما
جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة

القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا راى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

* انما مصعب شهاب من الله * تجلت بنوره الظلماء *

ومنهم من اذا راى المليح سقط من قامته * ولم يعرف نعله من عمامته * قال الشاعر

* فما هو الا ان يراها فجاءة * فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وامثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس ومنهم من يكون اول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختياري لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع ايضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق اول ما يكون مجانة * فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل اوله لعب * واخره عطب * قال الشاعر

* تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق *
* راى لجة ظنها موجة * فلما تمكن منها غرق *

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختياري وما يتولد عنه من السكر اضطراري

فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه
بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر
بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق
بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته او جارية
ثم فارقها وبقى عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما
فى قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون
اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم
فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطرارى مطلقا او اختيارى مطلقا
غير مقبول * عند ذوى العقول * والله تعالى اعلم * اقول
والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التى طاب زمانها واعتدل
* وظهر بها فى وجنة الورد حمرة الخجل وما بقى الا الدخول فى الابواب
على الوجه المقترح * والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق
باب كريم فتح * الباب الاول فى ذكر الحسن
والجمال * وما قيل فيهما من تفصيل واجمال * اقول هذا
باب عقدناه للكلام على الحسن واقسامه * والحبيب وكلامه
* ولا سيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب فى ثغره الضرب
* فعذب مقبله * وتساوى من حسنه فى الحال ماضيه
ومستقبله * هنالك يحتوى من الجمال على القسمين اللذين
هما الظاهر والباطن * والظاعن والقاطن * فالجمال
الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة * والجود والشجاعة *
والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب * ووجهه الذى
فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب * فعند ذلك يشمت بالبدر
بشاماته * ويقول لخده الذى ازدادبها حسنا من زاد زاد الله
فى حسناته * فلذلك قيل الحسن الصريح * ما استنطق الافواه
بالتسبيح * وقيل بل هو كما قيل

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست ادرى ماهو
قلت وهو الصحيح لانه لايدرى كنهه ولايعرف شبهه حتى كانه
نكرة لاتتعرف ومجهول لايعرف ولذلك قال بعضهم للحسن معنى
لاتناله العبارة ولايحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق
من الحسنة قلت والذى يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات
حسنات قال بعضهم فى سوداء مليحه

* يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات *
* ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات *

وقلت انا

ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا
قليل الحظ بالشامات امسى * فما حسناته الاذنوبا

وقيل الحسن امر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل
وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها
واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن
بذاك وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم بياض المرأة
فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عايشة رضى الله عنها
البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب
فالجميلة التى تأخذ جملة بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة
التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة
من الجمل وهو الشحم والمليحة ايضا من الملحة وهى البياض والصبيحة
كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة
فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام
واحسن الحسن مالم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس
وجدت بها طيبا وان لم تطيب * وقال اخر

* ان المليحة من تزين حليها * لامن غدت بحليها تتزين *

وقال بعض اهل اللغة العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة
في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان ومنه قول الحسن
رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع اي اذا وقع دفع عن
نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما احسن قول بعضهم البدن
فيه الوجه والأطراف * وفي الوجه المحاسن واليها الاستشراف
* وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف
* كالملاحة في العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم
ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج
وكالرونق في الخد ونكتة الخد الضرج * ومما يستحسن في المرأة
طول اربعة وهي اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها * وقصر
اربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها * والمراد بهذا القصر
المعنوي فلا تبذر ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل
بلسانها ولا تطمح بعينها * وبياض اربعة لونها وفرقها وثغرها
وبياض عينيها * وسواد اربعة اهدابها وحاجبها وعينها وشعرها
* وحمرة اربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب
بياضها بحمرة * وغلظ اربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها
وما هنالك * وسعة اربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها
* وضيق اربعة فمها ومنخرها ومنفذ اذنيها وما هنالك وهو
المقصود الأعظم من المرأة قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان
بهذه الصفة المذكورة جميعها فما كان احقها ان يقال في حقها
لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وحكي ان يعصور احد ملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان
ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتتلألأ جمالا
فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع
تضرب اهداب عينيها خديها كأن بين اجفانها لمعان البرق

مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت * فصل قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال لجرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت امرء قد حسن الله خلقك فاحسن خُلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرأة فان راى صورة حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان راها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

يا حسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبياً الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي بن ابي طالب وقد سئل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كأحمد * نظام لحق او نكال لملحد

وقال ايضا

فأجمل منك لم ترقط عيني * واكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبراء من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

امين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضئ لليلة البدر

ونظرت اليه عايشة يوما ثم تبسمت فسالها عن ذلك فقالت

كأنّ ابا كثير الهذلى انما عناك بقوله *

واذا نظرت الى اسرّة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا وروي انّ بعض الصحابة لقي راهبا فقال صف لي محمّدا كأنّي انظر اليه فانّي رايت صفته في التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة ابيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمّته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد ادعج العينين اقنى الانف مفلج الثنايا كأنّ عنقه ابريق فضة وجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد القيت عليه المحبّة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه احبّه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان احسن خلق الله خَلقا وخُلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه راى يوسف ليلة الاسرى وقد اعطي شطر الحسن وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا ابردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن ابي مليكة يرفعه من اتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهبٌ قال داود يا ربّ اى عبادك احبّ اليك قال مؤمن حسن الصورة فقال اى عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عايشة رضي الله عنها انّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان ينتظره نفر من اصحابه على الباب فجعل ينظر في المرأة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يا رسول الله

وانت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليجملن نفسه
فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه
ما يكرهه مما يمكن ازالته ما يمنع احدكم اذا خرج من منزله ان
يتعاهد اديم وجهه * فصل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم اى في احسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته
منتصبا يتناول ماكوله بيده مزينا بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا
حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم
تكوني احسن من هذا القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث
الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت
شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى به من هو اعلم منا وهو
الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء ان الصوت الحسن
والوجه الحسن ولهذا قال ابو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا * والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذارا * تمم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد في الخلق ما يشاء

وحكى عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك
فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن وجهي * وحكي
ان المامون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه
الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت
صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر
له ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره
والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع
اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس الهيئة البدنية حتى قال
بعض الحكما قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال

عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله
يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده
بسطة فى العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله
تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من
الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما
تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا واصلا لا ينعكس
واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر اهل زمانه بحسنه
واحسانه فاذا نظرته اول مرة رأيته احسنهم صورة واتقنهم بنية
فهو اولاهم مرتبة واعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب
الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازى
فى اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه
فان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة
من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة
افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لا محالة
ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن
السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع فى انواع من البلايا منها ان اباه
كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن فى
اسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم
الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم
لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لا تبقى الا اياما قلائل
واما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا تبطل نتيجته قلت وممن
حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر بن

الخطاب رضي الله عنه مرّ ليلا فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم فرآه احسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال لا تساكني في بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضي الله عنه فلما ودّعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتني قتل نفسي فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما بعدت لكن اقول ما قال شعيب عليه السلام ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاك ليكون ذلك عوضا الك اقول ذكرت بحلقه شعره فكان احسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك

حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحا

كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وابقوه صبحا

وما احسن قول السراج الوراق في مليح قلندري

عشقت من ريقته قرقفا * وما الذ ذاك من شارب

قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب

سلطان حسن زاد في عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب

وقال بن سنا الملك

حكيت جسمي نحولا * فهل تعشقت حسنك

وكان جفنك مضنى * فصرت كلك جفنك

وزادك السقم حسنا * والله انك انك

فصل قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فلنذكرها هنا ما قالته الشعراء في تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم اكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم

بالميم والصاد والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين وان
احسن ما قيل في ذلك قول محاسن الشوا

ارسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فاعيى بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى الف ليست لوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقول الآخر

يا سين طرتها وصاد عيونها * انى اعوذها بسورة طه

وقول ابن مطروح

قالت لنا الف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقول ابن نقاده

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال ينقط
والميم فوها فالحروف تالفت * مكتوبة والصبر عنها يكشط

وقول الآخر

لا تقل لى لا فمكتوب على * وجهك المشرق نورا نعم
بحروف صورت من قدرة * ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين احمد بن الخيمى

ان صدغ الحبيب والفم والعا * رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما * تم حسنا وبالعذار التمام
غير انى اراه وصل وداع * فيه يقضى افتراقنا والسلام

وقلت انا

حبيب تعالى قده حين سمته * وقال قوامى رمحه ما يقوم
وخط عذارى اعجم الخال لام * ولم ادر ان اللام فى الخط يعجم

وقلت ايضا

يريد الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

وقلت ايضا في عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء في تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

فكم الف بها امسى * رشيق القامة النضره
وكم شاين بحاشية ال * كتاب تخالها طره
وعين اصبحت في العين * مثل العين والنقره

وقلت ايضا في تقريظ كتاب ورد علىّ من بعض الاحباب من رسالة افتتحها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا علي * فلا تعجب لدمعي ان توالا
ووافاني كتاب منك عال * حكت الفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رايت له مثالا
لئن امست به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم الف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا * وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خد * وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاء فيه * يعلّم لينه الغصن الكمالا

وقال القاضي الفاضل من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيرواني وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمائم * ومن لامات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم * ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادي والعيون الحوائم * ومن واوات ذكرت ما في وجنة الاصداغ من العطفات * ومن ميمات دنت لافواه من ثغرها التنال جنى الرشفات * ومن سينات كانها الثنايا في تلك الثغور * ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بانحناء الظهور * ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التي تخفق رونقا الاستحسان كالطيور * وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين

وخالد فيها خالد * وتحيته فيها المحامد * ويده تضرب في ذهب ذائب * والناس تضرب في حديد بارد * الباب الثاني في ذكر المحبين الظرفا * من الملوك والخلفا * اقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا * واطولهم باعا * واطيبهم عيشا * واكثرهم طيشا * وارقهم شعرا * وادقهم فكرا * واقربهم رجوعا * واكثرهم بالحبيب ولوعا * اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك * واحقهم بالنوم على تلك الارائك * وذلك بحسب ما سولته لهم نفوسهم * وزينته لهم جليسهم * كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا * ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهدا * وستاتي حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من اصبح دونه في العفاف * واقام سالف محبوبه مقام السلاف * ومنهم من خلع العذار * واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع ما بين ذات العقود * وابنة العنقود * ولكن مع صيانه * ورجوع الى ديانه * فهو وان طال به المجلس اختصر * وان جنى فيه على محبوبه اعتذر * كما قيل

ان اكن قد جنيت في السكر ذنبا * فاعف عني يا راحة الارواح
اي عقل يبقى هناك لمثلي * بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظوره * واخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صوره * فجارى النديم في الجريال * وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال * فافضى به ذلك الى هلكه * وفساد ملكه * كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد

الامين يوما للناس وعليه طيلسان ازرق وتحته لبد ابيض فوقع في ثمانماية قصة فوالله لقد اصاب وما اخطأ واسرع فما ابطأ ثم قال يا ربيع اترانى لا احسن التدبير والسياسة ولكنى وجدت شم الأس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نفاس اشهى الى من مقابلة الناس وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة والذى اراه طلاق ما ذهبوا اليه بالصريح * ومفارقة الجميع على وجه مليح * كما قيل

لو راى وجه حبيبى عاذلى * لتفارقنا على وجه مليح

وما احسن قول ابى الفتح البستى

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب

اما ترى الشمس فى الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع فى ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا له كالمملوك وهم فى ذلك لشدة الباس * على خلاف ما عليه الناس * وذلك لأن العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيها الحب ما ذل لى الهوى * ولم يك لولا الذل فى الحب عزتى

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة * فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس فى القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان

فكما العقل واحد ليس يدرى خالقا غير واحد رحمن

فكذا القلب واحد ليس يهوى غير فرد مباعد اومدان

وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

هو في شرعة المودة ذو شرك * لم يبعد من صحة الايمان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبة كالرشيد وغيره كما يأتي بيانه في بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم * واختلاف الشكل عليهم * كما قيل

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود النضه * والقناطير المقنطرة من الذهب والفضه * نعم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما اكثر ما يظهر من امر الملوك ان يضعوا محبوبهم في مقام مالكهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا فوق ترب * للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر * اذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جواري

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء المغرب واجاد

عجبا يهاب الليث حد سناني * واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطاني
فابحن من قلبي الحمى وتركنني * في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني

ماضرّاني عبدهنّ صبابة * وبنو الزمان وهنّ من عبداني
قلت وكم مثله من ملك قاهر * وسلطان قادر * تذلّ لهيبته الأملاك * وتذعن لسطوته الفتّاك * هدم الهوى اركانه * واذل عزّه وسلطانه * فقصر جفنه في الليالي الطوال * واوقعه مع عقله الحسن في اسر الأعتقال فقال

اما يكفيك انّك تملكيني * وانّ النّاس كلّهم عبيدي
وانك لو قطعت يدي ورجلي * لقلت من الرضى احسنت زيدي

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدي وقال الشيخ اثير الدّين ابو حيّان كان السلطان ابو عبد الله محمّد ابن السّلطان الغالب بالله احد ملوك الأندلس جميلا حسن السّياسة متظاهرا بالدّين رايته مرارًا بغرناطة وانشدني شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر او من شعره

ايا ربّة الخدر التي اذهبت نسكي * على كلّ حال انت لا بدّ لي منك
فامّا بذلّ وهو أليق بالهوى * وامّا بعزّ وهو أليق بالملك

وقال الملك الامجد

من مثلي في عصري * بستاني في قصري
معشوقي مملوكي * غنّالي من شعري

وقال الملك الظاهر في مملوكه ايبك الجامدار

انا مالك مملوك ظبي اغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وانا الغنيّ وانني من وصله * بين البريّة معدم صعلوك
ولكم سفكت دمًا بسيفي عنوة * ودمي بسيف لحاظه مسفوك

وقال الملك الاشرف في مملوكه وكان خانداره دوبيت

افدي قمرًا تحار فيه الصّفة * يسخو بدمي وهو امين ثقة
ماذا عجبًا يحفظ مالي ويرى * روحي تلفت به ولا يلتفت

وبقيّة ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الاوّل من نعل الكرام

في مدح المقام وذكرت فيه ايضا حكاية محبوبة ابن مملوكه وما ذن فيها عنه من حسن السيرة وهي من اغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جد لي بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني اظل اشكو * مثل محياك ليس يشكا

وحكي عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فاعرض عنها واعرضت عنه ثم اسلمه الغرام واقلقه الشوق حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فانشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يزري محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام * ولكني بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتليني * فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا امير المؤمنين والدك امير المؤمنين هارون الرشيد اعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الابيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون ايضا يوما غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتحا لبلوائي * ويا عليما بطول شكوائي
الحمد لله لا شريك له * مولاك عبدي وانت مولائي

فبلغ ذلك احمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كلما يصلح للمولى على العبد حرام وقعد والد الرشيد يوما عند زبيده وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على راسها فاشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه

فما برحت مكاني * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فقضى بها وطره معها اسبوعا لا يدري مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقة * كانما قلباهما قلب
روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

وحدث ابو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصر له اذ مر بجارية له سكري وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين انك قد هجرتني مدة ولم يكن عندي علم بموافاتك فانظرني الليلة حتى اتهياء للقياك وآتيك في غد فلما اصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسالها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشي وابو نوس فامر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون اخره كلام الليل يمحوه النهار فانشأ الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب

اتعذلني وقلبي مستطار * كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي * بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها * لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت * كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس

ونحود اقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا * فقام لها على المعنى اعتذار
وقالت في غد فمضيت حتى * اتى الوقت الذي فيه المزار
وقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك اكنت مطلعا علينا او ثالثنا في القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما في نفسك وعبرت عما في ضميرك فأمر له باربعة الاف درهم ولصاحبيه مثلهما وذكرت هنا ما قلته في ابن نهار

اقول الموعدي زورا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زبد * اذا طلعت عليه الشمس ذابا

وقلت

انبيت ريان الجفون من الكرى * وابيت اسهر فيك مع سماري
وتلوم ان اصبحت في يوم الجفا * مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

حكي انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الفتيان فكان المتوكل يحبه جنونا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقي من شهوته وكان قد اسن فاحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتخمش اخص خدمي بحضرتي فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة وكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشي في قراطق كالورد
تمنيت ان اسقى بعينيه شربة * تذكرني ما قد نسيت من العهد

وسقى الله دهراً لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد
ثم دفعها لشفيع فاعطاها للمتوكل فاستملحها وقال احسنت
يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي
يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان
شفيع المذكور يكتب على طراز قبايه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه * في صفحة القمر المنير

ومن غريب ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبّاً
بحبابه جاريته فخلا يوماً في لهو معها وقال لاكذبنّ قول من
قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوماً واحضر حاجبه وقال له
لا تأذن لاحد يدخل عليّ ولا تعلمني بخبر ولو كان فيه ذهاب
ملكي مدة هذا اليوم واقام معها في اتم حال فتناولت رمّانة
فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه
وبين الصّبر ومنع من دفنها حتى ساله جماعة من بني امية في
دفنها ولاطفوه في ذلك فأمر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس نسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة ايام ومات اسفاً عليها
ومثل فعله هذا في عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته في نقل الكرام
في مدح المقام في الباب الرابع عن السلطان جلال الدين
خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج ومنع من دفنه فكان يحمل معه
في محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج
فقال له بعض الامراء ايها الملك قد مات قلج فضرب عنقه
فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها في الكتاب
المذكور * الباب الثالث في ذكر من عشق على السماع

* ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع * اقول هذا باب عقدناه
لذكر من عشق قبل ان يرى * فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى
* فاصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين * وشهد على
عينيه بما لم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعرتين كم ليلة
رقص فيها على السماع * وجمعة سهر من لياليها مثنى وثلاث
ورباع * فهو اعلا طبقة ممن عشق باللمس * او غيرها من بقية
الحواس الخمس * والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب
فى نفس الامر * أو تعارف سابق فى عالم الذر * كما قال الشيخ
فتح الدين ابن سيد الناس * واحسن فى الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس او تجرى مع النفس
وما لها اخر لكن اولها * تعارف سابق فى حضرة القدس
فى عالم الذر نادانى البشير بها * اهلا بمبتها طهراً من الدنس
اشهى الى القلب من من على وجل * ومن مجال الكرا فى الاعين النعس

قولى لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى اخره فيه اشارة الى انك لا تجد
اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق فى بعض الصفات
لا بد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجل من اهل
النقص انه يحبه فقال ما احبنى الا وقد وافقته فى بعض اخلاقه
ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سال عايشة
رضى الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن
قدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس بها فقال على من
نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف

وانشد طرفه

تعارف ارواح الرجال اذا التقوا * فمنهم عدو يتقى وخليل
وقال ابو الهذيل العلاف لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب

الطبيعة ولا فى القياس ولا فى الحسّ ولا فى الممكن ولا فى الواجب
ان يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر انّ هذا للسرّ الذى ذكرناه
من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من احبّ من لا يحبه
ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك اجوبة احسنها ان يقال
المحبّة على قسمين القسم الأول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك
فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحبّ كثيراً الّا اذا كان
له معه غرض نظير غرضه فانّه يحبّه لغرضه منه كما يكون بين الرجل
والمرأة لانّ لكلّ منهما غرضاً مع صاحبه والقسم الثانى محبّة روحيّة
سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الّا من
الجانبين ولا بدّ فلو فتش المحبّ محبّة صادقة قلب محبوبه لوجد
عنده من محبّته نظير ما عنده او فوقه او دونه وذكر بعضهم انّ سبب
المحبّة ثلاثة اشيا امّا رؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة
فهذه الثلاثة هى اصل ينبوع المحبّة اذ لا يخلو حب احد من ان يستند
الى شئ منها وقد قيل

ثلاث محبات لحبّ علاقة * وحبّ تملاق وحبّ هو القتل

واحوال الناس تختلف فى ذلك فمنهم من يحب بمجرّد الوصف دون
المعاينة فيفنى بمن وُصِف له محبّة وما رآه ولكن وصفه له واصف
كما قيل

فانّى ان ارى الديار بطرفى * فلعلى ارى الديار بسمعى

اخذه القاضى الفاضل فقال

علّلونى عن الشآم بذكرى * انّ قلبى عليه بالأشواق
مثّلته الذكرى لسمعى كأنّى * اتمشى هناك بالأحداق

وقال بعض الحكما انّ الله عزّ وجلّ جعل القلب امير الجسد
وملك الأعضا فجميع الجوارح تنقاد له وكلّ الحواس تطيعه وهو
مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده

العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمان شيئاً ولا يطويان عنه سراً يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما اشد ضرراً السمع ام البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص احدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب وما راى والاصم يحب وما سمع فقال لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحد جناحيه ولا يستقل طيراناً فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه اقوى وكان يقال الحب اوله السماع ثم النظر كما ان اول الحريق الدخان ثم الشرر * حكي عن ابي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم افهم معانيها ولكن * شجت قلبي فلم اجهل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

قال بن طاهر قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشار اخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه ابو يعقوب الخزيمي فقال

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسي فداؤك انما * عيني واذني في الهوى سيان

وقال بشار ايضاً الحب مما يتولد بالقلب والفكر وانشد في ذلك

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما احسنت الحواس الخمس

بواسطة توسطتها النفس وقد قال الخليل ابن احمد
ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه * وناظر القلب لا يخلو من النظر
وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وانت اعمى * ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤا * د وانت لم تنظره سهما
ومتى رايت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباي جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى * وبه تتم اذا استتما
فاجبت اني موسوي العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما * ع ولا ارى ذات المسمى

وقال المدني

ايا من لامني في حبّ من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصفـ * ـك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ * ـة يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها

واني امرؤ احببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وقالت لي الامال ان كنت لاحقا * بابناء ايوب فانت الموفق

وقلت انا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسنا وفيه زيادة حسنة مطلعها

وحيا وجهك وهو بدر مشرق * قلبي عليك كما علمت واشفق
يا من اذا ما الاح آس عذاره * امسى ولي بالعيش غصن مورق

مالاح خدك بالعذار مكاتبا * الا ظننت بانه لى معتق

ومنها

كم ذا رقصت على السماع بذكره * والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى فى محبة من لا يراه لكن وصف له ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث فى الصحيح قال فى الواضح المبين * ومنهم من يعشق اثرا راه كما يحكى ان رجلا عشق اثر كف امرأة راه فى حايط فلما ايس اهله من صلاحه تركوه حتى مات * ومنهم من يحب فى النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

ياليت شعرى من كانت وكيف سرت * اطلعة الشمس كانت ام هى القمر

اظنها العقل ابداها تدبره * اوصورة الروح ابدتها لى الفكر

اوصورة مثلت فى النفس من املى * فقد تحير فى ادراكها البصر

اولم يكن كل هذا فهى حادثة * اتى بها سببا فى حتفى القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة ومنهم من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره * كذاك يعشق فيك الأنف والاذن

ومنهم من اخبرنى انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هى فاخذها واقامت عنده زمانا واضنا من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة وسمت غيرى * يقول سلمت من تلفى بشعره

ومنهم من يعشق جنية راها فى نومه ووصفت نفسها له وجائته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاهوى ان جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع فى النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا

شديدا

شديداً وكان جعفر خليعاً ماجناً ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال واى مستصلح فيه واىّ غاية لم يبلغها فى الفساد فقال ويلك وباىّ شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجنّ وهو مجتهد فى خطبتها ودأبه جمع اصحاب العزايم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جدّ ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجنىّ فى الحى طلل * دارس الآيات عافٍ كالخلل

قلت هذا الذى يقال فى حقه الجنون فنون * ومثل هذا ما اخبرنى به صاحبنا جمال الدّين بن عبد الله قال قال الثعالبى فى فقه اللغة زعموا انّ التناكح قد وقع بين الانس والجنّ لقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والاولاد لانّ الجنيّات انما تصرع الرّجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بنى ادم * فصل فى ذكر ما ينخرط فى سلك العشق على السّماع والشهادة على الغايب كقول ديك الجنّ وقيل عبد المحسن الصّورى

بأبى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنّه عذب
كشهادتى لله خالصة * قبل العيان بأنّه ربّ

وما احسن قول الآخر

اهيم الى العذب من ريقه * كما هيّم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقيناً ولكن من الغيب غيب

وقال بشار بن برد

يا اطيب النّاس ريقاً غير مختبر * الّا شهادة اطراف المساويك

وقال المتوكل الليثى

كأنّ مدامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودنّ
تعلّ به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال امرؤ القيس

وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما اكتم

وقال ابن حمديس الصقلي

وما ذقت فاها ولكنني * نقلت شهادة عود الأراك

وقال البها زهير

فتنت به حلوا مليحاً فحدثوا * باعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه ولم ار عدلاً وهو سكران يطفح

وقال ابن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لي * لو انه صادق الحلاوه

قلت وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوماً على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القراآت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شئ من النحو فوجدته فيه ماهراً ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فاتيت في بعض الأيام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت اروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جاريته فقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لاحد الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت اعظم الله اجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

لابدّ منه فعليك بالصبر ثمّ قلت له هذا الذى توفى ابنك
قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال
حبيبتى فقلت فى نفسى هذه اوّل المناحس ثم قلت سبحان الله
النّساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على احسن منها فقال
وكانّى بك قد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية
ثمّ قلت وكيف عشقت من لا رايته فقال اعلم انى كنت فى الطارمة
واذا برجل عابر وهو يغنى ويقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردّى على فؤادى اين ما كانا

فقلت فى نفسى لولا انّ ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما قيل
فيها هذا الشعر فهويتها فلمّا كان بعد يومين عبر ذلك الرجل
وهو يغنّى ويقول

اذا ذهب الحمار بأمّ عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت فى العزاء ثلاثة ايام بهذا اليوم
قال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت همّتى على ترك تقطيع الدفتر
بحكاية ام عمرو * الباب الرابع فى ذكر من نظر
اوّل نظره * فاحترق من خدّ الحبيب بجمره * اقول هذا باب عقدناه
لذكر من اوقعه النظر * فى الضرر المودى الى السهر * اذ هو داعية
الارق * وزناد الحرق * كم دعى الى الجماع * المحرّم بالاجماع *
فهو سهم مسموم * وفعل مذموم * وفى مبداه يمكن استدراكه
* واسيره يرجى فكاكه * فاذا تكرر ادّى الى ما صورته كيت
وكيت * اما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل

(قوله البيت تمامه في الصخرة الصماء قد اثره)

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضرّ مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

قولي وفي مبدئه يمكن استدراكه الى اخره وذلك ان الرجل تمر به
المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه
فتتحرك نفسه وتنبعث همته من اول نظرة فاذا تكرر نظره اليها
ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذي به اضعاف ما كان
فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع في اسر حبالها ودخل
في عدد العاشقين وهذا مما يؤيد قول من ذهب الى ان العشق اختياري
لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه
حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما ندر كما تقدم
في ذكر النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام ففتن من
اول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب
سهم قاتل وكان يقال رب عشق غرس من لحظه وحرب جنى من
لفظه وكان يقال من اطلق طرفه كثر اسفه وكان يقال من كثرت
لحظاته دامت حسراته وقال اعرابي العشق نبت بذره النظر
وماؤه المزاوره ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجني
وقال الصوري

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته * واهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى اينعت شجراته * وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدعي من الصبر عازبا * عليك وتستدعي من النوم نازحا

وقال الاصمعي كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون
قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأ
مثلها قط في حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف
الناس اليها ارسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم
تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشأت تقول

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

ثم نظر اليها اعرابى وقال انا والله ممن قل صبره وانشد

اوحشية العينين اين لك الأهل * ابالحزن حلوا ام محلهم السهل
واية ارض اخرجتك فانني * اراك من الفردوس ان فتش الاصل
ففى خبرينا ما طعمت وما الذى * شربت ومن اين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل

اقول هذا والله هو السحر الحلال * والعذب الزلال * قد اشتمل على مذهب السحر الكلامى * والبدر السامى * فكانى بها وقد ذكرت له الاهل * ووصفت من حبها وخدها الحزن والسهل * هنالك ياتيها سعيا على الرأس لاسعيا على القدم * وتكون وجناتها احب اليه من حمر النعم وينشد

اريني مكان البدر ان افل البدر * وقومي مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها * وليس لها منك التبسم والثغر

حكى انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله منى * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب اخره المنايا * واوله شبيه بالمزاح

قلت وفى هذا دليل على ان العين هى التى تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين رايده ومحبة القلب زايده وهذه لها لذة النظر * وهذا له لذة الظفر * كانا فى الهوى شريكى عنان * وفرسى رهان * فلما وقعا فى السهاد والحرق * واضر بصاحبهما الأرق * قال القلب يقول الارجانى * لطرفه الجانى

تمتعتما يا مقلتى بنظرة * وأوردتما قلبى اشر الموارد
اعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال ابو الطيب المتنبى

وانا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

وقول الاخر

عوقب قلبى وجنا ناظرى * وربما عوقب من لا جنى

وقول الاخر

نظر العيون الى العيون هو الذى * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه * حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الاخر

يامن يرى سقمى يزيد * وعلتى اعيت طبيبى
لا تعجبن فهكذا * تجنى العيون على القلوب

وقال ابن مدرك

جرحت بلحظى خد الحبيب * فما طالب المقلة الفاعله
ولكنه اقتص من مهجتى * كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده * وفهمت مراده * اشارت اليه * واخذت فى الانكار عليه * فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم * واخرس يتكلم * اليس من الخبر الذى شاع وذاع * انك انت الملك ونحن الاتباع * ترسلنى فيما تريد كالبريد * وتعقب ذلك بالتهديد * اما سمعت قول ابى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده * فان طاب الملك طابت جنوده * وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبى وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعماك وقال علام الغيوب * فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب * فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال * قالت فى الحال

انا ما بين عدوين هما قلبى وطرفى
ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفى

وقال آخر

يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا * تبكي وانت الذى حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه * بل انت حملتني الامال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه * كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدى لا تقبيا فلقد * قطعتماني بما لا فيتما قطعا

وقال آخر

عاتبت قلبي لما * رايت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي * وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي * بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا * تركتماني قتيلا

قلت فكانا كما تقول العامة قفا بين صفاعين وما احسن قول الآخر

فوالله ما ادري انفسي الومها * على الحب ام عيني القريحة ام قلبي
فان لمت قلبي قال لي العين ابصرت * وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي * فيارب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذى يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد في الخبر * عن سيد البشر * لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التى حركتني وامرتني وصرفتني والا فانا لم اكن اتحرك ولا افعل شيئا بدونك فتقول الروح له وانت الذى اكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشي دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيئا فقال المقعد تعال فاحملني فانت تمشي وانا اتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك انتما *

فصل في ذكر سحر الجفون * ونبل العيون فمن ذلك قول
بشار وهو اغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضي القضاه
شمس الدين بن خلكان

انا والله اشتهي سحر عينيـ ـك واخشى مصارع العشاق

ونقل شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام
عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما اعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا * ك لقلبي فاجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

وانشد صاحب المرقص والمطرب

لو لم امت باللحظ قال العذل * ما قيمة السيف الذي لا يقتل

وقال ابن سهل الاشبيلي في مطلع موشحه

الحاظها للقتل * في كرها او في نصيب
ترمي وكل مقتل * وكلها سهم مصيب

وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك

بابي اهيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي
قد حمى خده بسور عذار * فلثناه اضحت عليه مرامي

فصل في وصف العيون الضيقه وغيرها قال ابن النبيه

يصد بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال ايضا

من بني الترك لين العطف قاسي الـ * ـقلب سهل الخداع صعب المراسي
ضيق العين وهو من صفة البخـ * ـل فان جاد كان ضد القياس
جذب القوس فاكتست وجنتاه * ثوب ورد طرازه من آس

ورمى عن قوسين سهمين هذا * في فؤادي وذاك في القرطاس

وقال ابن قرناص

علقته تتريا * يشجي القلوب ببينه

لا يرتجي الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباته

بهت العذول وقد رأى الحاظه * تركية تدع الحليم سفيها

فثني الملام وقال دونك والاسى * هذي مضايق لست ادخل فيها

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

لي منهم رشأ اذا غازلته * كادت لواحظه بسحر تنطق

ان شاء يلقاني بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

حكى الخرايطي عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هاني وهو ينشد

ويلي على نجل العيون * النهد الضمر البطون

الناطقات على الضمير رلنا بالسنة الجفون

فوقف عليه اعرابي ومعه ابن له فقال اعد علي فاعاد عليه فقال يا ابن اخي ويلك انت وجدك من هذا ويلي انا وانت وويل ابني هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم وقال سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة * من اجلها قيل للاغماد اجفان

وقال رشيد الدين الفارقي

ان في عينك معنى * حدث النرجس عنه

ليت لي من غضه * سهما ففي قلبي منه

وقال محمد بن العفيف التلمساني

لحاظك اسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الأرامل تغزل

وله ايضا

يا عاشقين حاذروا * مبتسما عن ثغره

وطرفه الساحر منه * شككتم في امره
يريد ان يخرجكم * من ارضكم بسحره

وقال ايضا

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * تمنى مثله الرشاء الربيب
رمى فاصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

وقلت انا من قصيد

حبيب نازل في كل قلب * وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل * ولا سيما اذا ابدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه رايت الموت من ماضيه حالا

وقلت ايضا من قصيد

تغار الشمس منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود

وقلت ايضا من قصيد

الت لواحظه على اهل الهوى * ان لا ترى قتلا بغير مهند
يرنو وصارم لحظه في جفنه * ماضي الغرار ولم يمس باثمد
فاذا تجرد للمحب فلا تسل * عن سيف جفن كالحسام مجرد

وقلت ايضا من قصيدة

غزال غزاني باللحاظ لانه * اذا ما بدا في [illegible] الحرب ضيغم
تكلمني الحاظه بسيوفها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقلت من قصيدة

تسل سيوفا من لواحظ طرفها * ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح * فما ننثني الا وسيحان جامد

وقلت ايضا من قصيد

يرنو الي بعين نون حاجبها * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
امير حسن من الاتراك حاجبه * على المحب له في مصر سلطان

غزت لواحظ في اهل مصر كما * غزا الانام بأرض الشام غازان
واما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة
بياض العين في شدة سواد سوادها وقال يعقوب الحور سعة
العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة
المحاجر صغرت العين ام كبرت وقال ابو عمرو الظبية الحوراء
السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس
انما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب
وابو عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق
الحوارى للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين
الا مع شدة سوادها لان بياضها مع الزرقة ليس هنالك
في النقاء وقد اكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد
وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عائشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة في
العين يمن وقال بعض العرب

احبك ان قالوا بعينك زرقة * كذاك عتاق الطير زرق عيونها

ومن هنا اخذ العبدي قوله حين قال له معاوية انك احمر فقال
والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازي ازرق

الباب الخامس في ذكر تغير الالوان * عند العيان *
من صفرة وجل * وحمرة خجل * وما في معنى ذلك من عقد اللسان
* وسحر البيان * اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لوني
المحبين * اذا وقعت العين في العين * وهرب الدم الى شبكة
الدماغ فقال له الحاجر الى اين * وقد نصت الاطباء على
السبب في ذلك * وجلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب
سواد كل حالك * وانا اوردها ما قالوه بنصه * واصوغه
كالخاتم بفصه * واعقبه بذكر الوان الحسان * بأحسن

بيان * واوضح تبيان * هذا مع ما يجر في ذيل ذلك من التفضيل
بين السمر والبيض * ووقوع محبة السمان من الشعور والارداف
في الطويل العريض * واختم ذلك بفصل في ذكر ما يعتري المحب
من خفقان قلبه * وطيران عقله ولبه * فاقول وبالله التوفيق
قال بعض الاطباء سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان
الدم لا ياوي مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجاءة
فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت بردا لتامور
فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة
ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل
عرض من حركة تامور القلب فتحيل الدم وتلطفه فيظهر في ارق
مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضيه ومجاهدتها
الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس فيمنعه
الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه
الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر
ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر
حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حايك ديباجا
وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة
وصفرة لونه يولدها الفزع والبوس والغم والسقم واما احسن
الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه
وافضل اليا قوت والخمر الاحمر واجود الذهب احمره وافضل
العسل الذهبي واليا قوتي وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم
الخيل اشقرها وهي ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لوان لي حمر
النعم ولوان لي طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار الورد
والشقايق والجلنار واحسن الحلل المصبوغة المعصفرة واحسنه

ما كان صبغه القرمز واحسن الخمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء
بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعقيق واحسن الالوان
المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب
ابا لهب وكان يكنى قبل ذلك ابا عتبة لانه كان من احسن الناس
وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق
الوجه متلهبه كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة
لصفرة كانت في وجهه ويقال في المثل كأن وجهه النار وكأن
في وجنته الجمر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اهلك الرجال الاحمران واهلك النساء الاحامرة والاحمران
الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال
الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين وما طلي * بالزعفران فلا ازال مروعا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب
ابن عبد الله ما رايت ذا لمة سوداء في حلة حمراء احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتنبي

من الجاذر في زي الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

واما قول الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضها * تروق به العينين والحسن احمر

فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من
الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة
لطول المكث في الكن والتضمخ بالطيب قال اعرابي

وما تسليت عن صفراء حالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال اخر

كأن لون البيض في الادحى * لونك لولا صفرة العاج

يريد انها تضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشا صفراء قال الشاعر

بيضاء ضحوتها وصف * راء العشية كالنهار

وقال بشار بن برد

فخذي محاسن زينة * ومعصفرات هن فخر
فاذا بلغنا فادخلي * في الحمر ان الحسن احمر

وقال الحريري في درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا * فاعلم بأن هناك موتا احمرا

واحسن زينة النساء في اجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك قال ابو نواس فيه

يا قمرا ابصرت في مأتم * يندب شجوا بين اتراب
يبكي فيذري الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن عكاشه

من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طوقت عنابا

وما احسن قول الواوا الدمشقي

فاستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال المرزباني قال لي ابن دريد سهرت ليلة فلما كان اخر الليل اغمضت عيني فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسج دخل علي واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك ابو نواس لأحد شيئا فقال انا اشعر منه فقلت ومن انت فقال انا ابن ناجية من اهل الشام وانشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبي نرجس وشقايق

حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا * عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
فقلت ساءت الترتيب فقال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت
الحمراء ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقايق فأخرت الحمرة فهلا
قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت
يا بغيض ثم انصرف وقال المتنبي

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

اخذه الاخر فقال

قالت لترب معها منكرةً * لو قفتي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

وقال ابن النبيه

وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمى احورارها

وقال عماد الدين ابن دبوقا من ابيات

ارى العقد في ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعي غدا احمراً * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادي بيع الهوان * لاجلك يا طلعة المشترى

وقلت انا من قصيد

لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو * ولا ثغر الا دون تقبيله ثغر
ولا ابيض الا اسود حظي عندها * ولا اسمر الا دون اعطافها السمر

وقال بدر الدين ابن المحدث

يصفر لوني حين انظر وجنة * منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفني الزمان وليس يفني حبه * وقد انحنيت وما اراه ينحني

حكي عن ابي ايوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر
ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع
كثرة دخولك على امير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت

اليه فقال مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك تناظرا فقال البازي للديك ما اعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف قال توخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك احد الا طرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حايط دار كنت فيها سنين ثم طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها واما انا فاؤخذ من الجبال وقد كبرت فتخاط عيناى واطعم الشئ اليسير واساهر فامنع من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدى فاطير اليه واخذه واجئ الى صاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة اما والله لو رايت بازيين في سفود ما عدت اليهم ابدا وانا في كل يوم ارى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وانتم لو عرفتم من المنصور ما اعرفه لكنتم اسوأ حالا مني عند طلبه لكم قلت والذي هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصفر منه حتى اذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان اخذ امواله وتركه في اسوء حاله حكى انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا رأه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من ابي ايوب وما افاده ذلك شيئا لانه فعل به ما فعل * وقابله بما ليس به قبل * فصل في التفضيل بين البيض والسود * والسمر ذوات النهود * وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصريون في الغالب * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فمما قيل في تفضيل السمر

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكنني اعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ اركب المهر المضمر في * يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

وقال علي بن الجهم

وعائب السمر من جهله * مفضل البيض ذي محك

قولوا له دعنا اما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

وقال ابوجعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعد
لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحد

وقال الشريف الرضي في تفضيل السود

احبك يا لون السواد فانني * رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رما
اذا كنت تهوى الظبي الى فلا تلم * جنوني على الظبي الذي كله لما

وقال مسلمه

لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال اقوام وما علموا * انى اهيم بشخص كله خال

وقال ابن رشيق

دعابك الحسن فاستجيبي * يامسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب

وقال اخر

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

وقد ذكرت بقية ما قيل في هذا النوع من المقاطيع الحسان في السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله واما ما قيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد * او يمتد اليه ساعد المساعد * قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن اصل ما يبنون عليه امرهم ذمه قال كشاجم

يا مشبها في فعله لونه * لم تعد ما اوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

واما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب
كل منثور ومنظوم قال الشاعر

وانت التي حببت كل قصيرة * الي ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد * قصار النسا شر النساء البحاتر

والبحاتر هن القصار الغلاظ وقال بعض السلف جعل الله البها
والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما
بين ذلك وما اظرف قول الشريف الناسخ

واحرباه من هوى قصيرة * في الارض منها الف الف قامه
اذا رنى الخفاف طرفها * قال الققا يا كاتب السلامه

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو
يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان
الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره *
فصل في ذكر ما يعتري المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه
وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه قال صاحب روضة
المحبين وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب
فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان
الرعية فاذا رآه فجاءة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه
فجاءة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجاءه المعظم
عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى
تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب
والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم
يعرف سببه ومن احسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان القلب
عند رؤية المحبوب قول الوراق الحظيري

يقول لي حين وافى * قد بلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا * ء خفقة يعتريه

فقلت

فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

ومثله قول الآخر

لا تنكروا خفقان قا * بي والحبيب لديّ حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وما احسن قول ابن سناء الملك

اما والله لولا خوف سخطك * لهان عليّ ما ألقي برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال ان تخلني * حذرا على من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجبا * ارايت عمرك ساكنا في خافق

وقال آخر

وسكنت قلبا خافقا * يا ساكنا في غير ساكن

وقال الطغرائي

مرض النسيم وصح والداء الذي * اشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والداء الذي * ضمت عليه جوانحي خفاق

اورد ابن الابار في تحفة القادم قول ابن تقي من ابيات

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

ثم قال نسب بعض اهل عصرنا ابن تقي الى الجفا في قوله
ابعدته عن اضلع تشتاقه ولو قال ابعدت عنه اضالعا تشتاقه
لكان احسن ثم ذكر بعدها مما فضلوه على قول ابن تقي المذكور
قول ابن الحكم جعفر بن عنان

ان كان لا بد من رقاد * فاضلعي هالك عن وسادي
ونم على خفقها هدوا * كالطفل في هزة المهاد

وقال ابن الاثير في المثل السائر في ابيات ابن تقي المذكور

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع * وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع

وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي

اتاني زائرا فحكى الهلالا * واتبعه صدودا واستطالا
فقلت له تعود فقال لالا * دوام الوصل يورثك الملالا

الباب السادس في ذكر الغيره * وما فيها من الحيره * وقرع سن * ديك الجن * اقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه * والمحبون فيها نوعان * والمضروبون بسوطها ضربان * فالاول يحبه الله ورسوله * ويتم به للعاشق سؤله * والثاني مذموم * وصاحبه ملوم * فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبه * ولا تترك منها حبه * لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيره * مما يؤدي الى فساد الصوره * والحكايات في هذا الباب مشهوره * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله ان تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل اهله وغيرة تدخل النار وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلا وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في اذاه ومساخطه ويستخف

بأمره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان
يدعى محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا
ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه
والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث يحمد
الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعاً وعقلاً كغيرة الانسان
على زوجته وامته والشئ الذى هو يختص به وهذه الغيرة تختص
بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يحب
على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبده ويحمدوه خلافاً
لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار
منه وربما اسكته ان امكنه ويقول غيرة الحب تحملنى على هذا
وانما ذلك حسد وبغى وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق
رسله اخرجوها فى قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه
الغيرة انما تحسن فى محبة من لا تحسن المشاركة فى محبته
كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره قال
القشيرى قيل لبعضهم اتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه
ذلك الجمال عن نظر مثلى قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية
وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه وان يعد
ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد فى مناقبه وفضائله
ان يقال له اتحب ان ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته اعلى نعيم
الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده ان يسئله النظر اليه
وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم انى
اسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا
القائل انزه ذلك الجمال عن نظر مثلى من خدع الشيطان والنفس
وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه
ان يجرى ذكره على لسانى وقد وقع بعضهم فى شئ من ذلك

فلاموه فانشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد اسقطت حالي حقوقهم عني
اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا مني أنفت لهم مني

وبعضهم عن ترك الحج غيرة على بيته ان يزوره مثله وقد لمت شخصا على ترك الصلاة فقال لي اني لا ارى نفسي اهلا ان ادخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الادميين فللناس فيها ضروب * وحسنات غالبها ذنوب * فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب * او سماع انة في الدرب

اغار اذا آنست في الحي انة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقال اخر

تغار من الطيف الملم جفانها * ويغضب من مر النسيم غيورها

وقال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمايه فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من اربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو اغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

والمتنبي اخذه من قول العباس بن الاحنف

لم الق ذا شجن يبوح بحبه * الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانني بك واثق * ان لا ينال سواي منك نصيبا

ومنهم من يلحق في الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحتري

اني لاحسد ناظري عليكا * حتى اغض اذا نظرت اليكا
واراك تخطر في شمائلك التي * هي فتنتي فاغار منك عليكا

ولو استطعت منعت لفظك غيرة * كي لا اراه مقبلا شفتيكا
خلص الهوى لك واصطفتك مودتي * حتى اغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من ازراره ولبس ازاره

اري الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهى ما حكى عن الحسن ابن زيد امير المدينة انه قال يوما لابى السايب وكان قد جمله وكسا فكان يركب معه فى موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فانشده الامير اري الازار على ليلى البيت فقال له ابو السايب بأبى انت وامى من الذى قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السايب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير اين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذى القى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبني قضيب في كثيب * تشارك فيه لين واندماج
اغار اذا دنت من فيه كاس * على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه * على بدر يقابله سراج

اخذه المتنبي فقال في ممدوحه

اغار من الزجاجة حين تجري * على شفة الامير ابي حسين

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسي من اغار عليه مني * واحسد مقلتي نظرت اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في جسمي هواه * وامسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

وقال ايضا

اغار عليك من قلبي * وان اعطيتني املي
واشفق ان ارى خديـ * ـك نصب مواقع القبل

وقال الاخر

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس
اني من نظري اغار وانني * بك عن سواي من الانام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة ان يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

ربما سرني صدودك عمدا * وطلابيك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

وقال اخر

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها * كما اثرت بالعين تؤثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم ببعدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول

فلو اضحي على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * اغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا * اعرضه لاهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري ودون وصاله ستر الحجال

وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوفة له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد افردت

حكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها
الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمايه
وهو في سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت
الرسالة المذكورة بقولي يقبّل الأرض وينهي ان ديك الجن المذكور
من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما
وغيرته عليهما خشي ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما
فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية
للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس
انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل
البرنية المجعوله من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثراب وطالما * روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
واجلت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى * شيء اعز علي من نعليها
ما كان قتلتها لأني لم اكن * ابكي اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحسنها * وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبل البرنية المجعوله من رماده وملاء
منها قدحه وبكى وانشد قوله فيه

اشفقت ان يرد الزمان بغدره * او ابتلى بعد الوصال بهجره
قمر انا استخرجته من دجنه * لبليتي واثرته من خدره
فقتلته وله علي كرامة * فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كاحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

اقول هذا الذي يقال له الجنون فنون * فانا لله وانا اليه راجعون

* من فعل هذا المجنون * على انه من ارق الناس شعرا * واكثرهم للمحبوب ذكرا * فمن شعره الفايق * ونظمه الرايق * قوله في الدعا على المحبوب

كيف الدعاء على من خان او ظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما
لا اواخذ الله من اهوى بجفوته * عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما

اقول صار الطالب مطلوب * وهذا الفقه المقلوب * ماكفاه انه فعل بالاحباب * ما لا تفعله الكلاب * حتى يقول لا اواخذ الله من اهوى بجفوته * ويمزج رقة شعره بقسوته * فهو في الخفة والطيش * وقتل المحبوب لا في ايش * ولا على ايش * فمن غلب عليه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه ما فعل * واقام ضربه بالسيف مقام القبل *

احبابه لم تفعلون بقلبه * ما ليس تفعله به اعداؤه

وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها في الباب الاول من كتابي مرآة العقول ومما ينخرط في سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسيره عند قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعني قلة الغيرة ثم قال واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندماه المختصين به في مجلس انسه وجاريته تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث حتى اتى برأس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك قلت لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ومثل هذا ايضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية

قوله فمن الى آخره هو من كلام الشيخ بعض من النظم ٥

الثمن وهي ثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان * ذوات الالحان * فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادي قبلني وقذف في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات قلت قد استراح والله من هذا الصداع كله وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما الفتها * فان حبيبي من احب حبيبي

وقد بالغ الاخر فقال يتبجح بالقياده

اقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيري قواد على رغم انفه

وما احسن قول ابي الحسين الجزار

قلت لما سكب السا * قي على الارض الشرابا
غيرة مني عليه * ليتني كنت ترابا

وقال نور الدين الاسعردي واحسن ما شاء

تميل الريح بالاغصان لطفا * كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل ابصرت قوادا يغار

الباب السابع في افشاء السر والكتمان * عند عدم الامكان * اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده * وهزل كل منهما وجده * اذ للمحبين فيهما مذهبان * مذهبان فمنهم من اباح اباحته * ورأى في افشايه راحته * ومنهم من رأى كتمانه من الديانه * فحل من مراتب الحب في اعز مكانه * حيث قال

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم من الناس من كتمه * فأراه كتمانه عدمه * ومنهم من افشاه * فوقع فيما يخشاه * ولكل من المذهبين شاهد * وبحر دمع زائد * لا ينجو غريقه * ولا تسلك طريقه * فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر * وسيفين لابد من قتله بأحدهما على الصحيح الاشهر * كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب

وارحمتا للعاشقين تحملوا * ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

والذي اراه في ذلك كله * وتميزوا بالله من طله * ان المحب اذا علم من محبوبه الوفا * وعدم الجفا * فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب * وابداء العلة الى الطبيب * كما قيل

وبح بالسرائر في اهلها * واياك في غيرهم ان تبوحا

وقد طرفا بوجعفر الشطرنجي حيث قال

قل لمن شئت انني بك مغرم * ثم دعه يروضه ابليس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء المحب سره الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر قلت بل هو السحر كله * ومعظمه وجله * وقد عرف ذلك من جربه * وادبه الحب وهذبه * وعلى هذا حكاية احمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدي بجعفر بعد ان زوجه بها الرشيد وشرط عليه ان لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما احبته وخاف على نفسه من الرشيد ان يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبي بأن يكتم الهوى * فصاح ونادى انني غير فاعل
فان لم تصلني بحبيب السر عنوة * وان عنفتني في هواك عواذلي

وان كان موت لا اموت بغصتى * واقررت قبل الموت انك قاتلى
فنالت منه ما ارادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها *
وشكوى ضرها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لى
عريب جارية المامون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه
عند خروجه الى الانبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان
يحبها جداً وكان ايضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك
غيرى فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها
وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عينى تبكى حذر البين * ما اسخن الفرقة للعين
لم ار فى الحب ولوعاته * اوجع من فرقة الفين

فقال لى الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدى فكتب على الارض
بقضيب فى يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره * والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل فى هواك مجاهراً * فالذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكنا ففطنت فريدة فقالت يا سيدى
علمت ما انتما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد فعلت
خذيها اليك يا عريب فاخذت بيدها فما ملك نفسه حتى انصرف
من خلفى مسرعاً فخلا بها وامر لى بالف دينار * ومنهم من لا يجرى
ذكر العشق على لسانه البتة * ويسكت حتى كأن به السكتة
ولم ار فى ذلك مما يتنافس فيه المتنافس * احسن من قول ابن فلافس

كتمت الهوى عند العواذل ضنة * عليهم عن اصبو اليه واهواه
ولو قلت انى عاشق فطنوا به * لعلمهم ان ليس يعشق الا هو

ومنهم من يبوء باثمه * ويرى التصريح باسمه *

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

وقال ابراهيم بن عبد الله رايت على خد جارية مكتوبا بالغالية

كل يوم اذوب من الم الشو * ق وقلبي من الصدود قريح
لم اجد خلوة اليك فاشكو * ما بقلبي لعله يستريح
ويح قلبي كأنه لحد قبر * ضم اعضاء ميت فيه روح

في البيت الثاني من هذه الأبيات تنبيه على ان افشاء السر الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغي ان لا يعلم به خلا ولا صديقا * ما وجد الى ذلك طريقا * كما قيل

يا موقد النار الهابا على كبدي * اليك اشكو الذي بي لا الى احد
اليك اشكو الذي بي من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم اجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سري وسرها * سوانا حذارا ان تضيع السرائر

ومن ظريف ما مر بي في هذا الباب ان بعض العشاق انشد يوما محبوبته قول الشاعر

سري وسرك لم يشعر به احد * الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس القوادة فانها لا بد ان تدري بسرنا * وتطلع على امرنا * ومن احسن ما سمعته في ذم مفشي السر قول الحسين بن بشر

لحى الله امرأ اوعاك سرا * لتكتمه وفض الله فاه
فانك بالذي استودعيت منه * انم من الزجاج بما حواه

قلت وما ابعد ان يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية القائل

وما اكتم الأسرار لكن انمها * ولا اترك الأسرار تغلي على قلبي
فان قليل العقل من بات ليله * تقلبه الأسرار جنبا على جنب

واين هذا من قول القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبك لم يبح * لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم مرت

فی جواریها بعروة بن اذینه وهو یغنی فقالت لجواریها من الشیخ فقلن عروة فمالت نحوه فقالت یا ابا تمام انك تزعم انك لم تعشق قط کیف وانت تقول

قالت وابثثتها سری فبحت به * قد کنت عندی تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولی فقلت لها * غطی هواك وما القی علی بصری

وقالت کل ما تری حولی من الجوار احرار ان کان هذا الکلام خرج عن قلب سلیم قط ❊ حکی عن احمد بن ابی عثمان الکاتب انه کان صدیقا لابی الفضل عبد الغفار الانصاری فعشق احمد جاریة لام جعفر اسمها نعمی وهام بها فاطلعه علی سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصاری فاعتل علة طویلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت الیه طبیبا فانشد

ارسلت ام جعفر لی طبیبا * لتشکی فضل علم الطبیب
ودوائی واصل دائی لدیها * فی یدی شادن غریر ربیب
خبروها بان نعمی دوائی * کی تداوی مریضها عن قریب

فسمعت ام جعفر الابیات وسالت عن قصته فلما وقفت علیها وهبته الجاریة وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا لسری فافسدت علی والمفاسد المترتبة علی افشاء السر الی الغیر کثیرة ولهذا قال ابو العلاء المعری

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن علی سر فؤادا

وقال الصاحب محیی الدین الجزری من رسالة فواعجبا کیف لا یتفطن من لا اسمیه ولا ینشق لکثرة ما احوم حول القول فیه ولا اوفیه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عیون وترامت الی مهاوی الاثم الظنون * ولو ابدت بعضه اخاف ان یفطن الناس * وان افضت فیه اخشی ان لا یحمله سمع ولا یسعه قرطاس * ومن احسن ما سمعته فی کتمان السر قول

النابغه وكان الامام على رضى الله عنه يتمثل به وهو

لاتفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا
فانى رايت وشاة الرجا * ل لايتركون اديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه امرا في كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرا فافشاه فلمته لانى كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر اضيق

وقال آخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس افشى واضيع

وقال ابو جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك بل امنه * وصير من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

وحكى الماوردى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعى سرا تضمنت ستره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى واحسن ما شاء

وما السر في قلبى كميت بحفرة * لانى ارى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كاننى * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وقال آخر

ياذا الذى اودعنى سره * لاترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك في خاطرى * كانه مامر في اذنى

وقال بشار

لاخرجن من الدنيا وحبكم * بين الجوانح لم يعلم به احد

وقال طلحة بن ابى بكر

قوله لا تفش دخل فيه وكرر فيه الخرم

لا تظهرنّ محبة لحبيب * فترى بعينك منه كل عجيب
اظهرت يوما للحبيب مودتي * فاخذت من هجرانه بنصيب

قيل اسرّ رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال احفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الأسرار زاد ضياعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضي الفاضل وأمت الاسرار في قلبك * والحدموتاها في جنبك * فقبيح بك ان يرى لك سر الا عند ربك * ووصف اعرابي قوما فقال سيوفهم آفات الأعمار * وصدورهم قبور الاسرار * وما احسن قول ابن مماتي من ابيات

وضاق على السجن حتى كانني * حللت به للضيق في صدر محنق
فيا ليتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج او كالسر في صدر احمق

وقال العباس بن الأحنف

باح دمعي فليس يكتم سرا * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيّ * فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن في مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه * اقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب في نفسه * والحاق يومه بامسه * وهو من اعظم الابواب حشوه * واكثرها رشوه * واحسنها اختراعا * واكثرها خداعا * وابلغها خطابه * واكثرها اصابه * وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده * ويحسن عند اهل الأنشاء انشاده * ليعلموا ان الأديب على الحبيب محتال * ويجاري برقة الفاظه الجريال * فمن ذلك وهو من احسن ما سمعته في مغالطة الحبيب

قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

ومثله قول الآخر

ما انس لا انس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند في الذى زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم

وقال العباس بن الأحنف

كأن لم يكن بينى وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلى
وانى لاستحيى لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال آخر

نسبت الى ذنب ولم آت مذ نبا * وحملتنى فى الحب ما لا اطيقه
وما طلبى للوصل حرصا على البقا ولكنه اجل اليك اسوقه

قلت ما يرضى يروح سواء بسواء حتى يسوق اليه الاجل
ايضا ومما قلته انا فى هذا المعنى

لم اطلب الوصل من اجلى فديتك يا * من زاد حظى سوادا منه شاماته
لكن خشيت بان تبلى بعشق رشا * يقتص لى منك والدنيا مكافاة

وقال آخر

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى انه صدقا

وقال آخر

يا سيدى عندك لى مظلمة * فاستفت فيها ابن ابى خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله * فوق ثلاث ربنا حرمه
وانت مذ شهر لنا هاجر * اما تخاف الله فينا فمه

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا اننى لك عاشق

نعم صدق الواشون انت حبيبة * الى وان لم تصف منك الخلائق
قلت هكذا رايته فى غالبها ووقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت من افواه اهل الأدب عنى ان قافية البيت الأول عاشق والصحيح انها وامق لأن المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق اى محب لغير ريبة وقال ابن رواحة الحموى

ان كان يحلو لديك قتلى * فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب

حكى ان بعضهم انشد شابا كان يحبه

ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد * واقول للرحمن هذا قاتلى

فقال له الشاب اقول هذا اراد ان ينيكنى فما مكنته وقال ابن سنا الملك من رسالة وانا والله فى امرك مغلوب * والسبب انى انا المحب وانت المحبوب * ولا اتجالد عليك فاغرك * واخون حبك * ولا اتصنع عليك فاغشك * واغم قلبك * اعمل ما شئت فانا الصابر * واقتل كيف شئت فانا الشاكر * وقل فلى سمع يعشق قولك * والتفت تر آمالى ترفرف حولك * فافعل فانت المعذور * واستطل فما انا المضرور بل المسرور * وارجع الى الود الذى بيننا فكل ذنب لك مغفور * وقال ايضا وانا استعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك * ويملى عذلك * ويصرف قلبك * ويجعلك ثانى عطفك * ويغيرك على الفك * لست على هجرك جلد القوى * ولا على عتبك شاكى السلاح
وقال ابن التعاويذى الشاعر المشهور

اشكو اليك ومن صدودك اشتكى * واظن من شغفى بانك منصفى
واصد عنك مخافة من ان يرى * منك الصدود فيشتفى من يشتفى

وحكى القاضي ابو عمر محمد بن يوسف الأزدي قال كنت اساير ابا بكر محمد بن داود الأصفهاني ببغداد واذا بجارية تغني من شعره

اشكو اليك فؤاداً انت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته * وانت في عظم ما القى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفهاً * وانت يا قاتلي ظلماً تحلله

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به الركبان وقال ابو عبد الله

قلبي عليك ارق من خديكا * وقواي اوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه * ظلماً ويعطفه هواه عليكا

وقال ابو العلاء المعري

لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * فعمرك في العشرين وهي نصاب

وقال ناصر الدين بن النقيب

لقد وجبت عليك زكاة حسن * وفيه كمثل ما في المال حق
فلا تعدل به عني فاني * لمصرفه الفقير المستحق

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

لو لم اكن في رتبة ارعى لها الـ * عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذلي * خلع العذار ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

وقال الآخر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * الله يعلم انني مظلوم

وقال المكرم

الناس قد اثموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي ادري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يقولونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو اجمل من اثم الورى فينا

وقال المتنبي

زودينا من حسن وجهك ما دا * م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا بوصلك الآن في الدنيا * فان المقام فيها قليل

اقول هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه واما الاول ففيه تنفير فليته اراح واستراح * وترك التهكم بالوجوه الملاح * على ان التلعفري اقتدى به في التهكم باحبابه فقال دوبيت

يا تارك ربع الصبر مني مهدوم * ما أنت لغائب الوصل قدوم
خف ربك في العشاق وارفق بهم * ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

الباب التاسع في الرسل والرسائل * والتلطف في الوسائل

* اقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الأحباب * وشكوى الجوى في الجواب * وهو باب مطروق * نافق السوق * طالما عرض فيه المحب على الرسول * سلعة النحول * لا سيما من عيل صبره * واشتهر امره * فاصبح وهو في البيت طريح * واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح * كما قيل

فيا نسيم الصبا انت الرسول له * والله يعلم اني منك غيران
بلغ سلامي الى من لا اكلمه * اني على ذلك الغصبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي * فذاك مني تمويه وبهتان
وكيف اغضب لا والله لا اغضب * انى لما رام من قتلي لفرحان
اكل يوم لنا رسل مرددة * وكل يوم لنا في العتب الوان
استخدم الريح في حمل السلام لكم * كانما انا في عصري سليمان
فهو من الهوى على خطر * ومن اقامة الهجر على سفر * لا يقر له

قرار * ولا يصطلي لوجنة محبوبه بنار * لاجرم انه يتعلل بالنسيم العليل * ويقول لاستنشاق اليسير منه قليلك لا يقال له قليل * ومن احسن ما سمعته في هذا الباب قول الوأواء الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

اخذه من قول عمر بن ابي ربيعة من ابيات يصف بها قوادة

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخي عند سورات الغضب

قيل ان ابن ابي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه ومثل قول الوأواء قول الآخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح
واذا عرضت عني فموه مغالطا * بغيري وقل ناحت عليه النوائح

وقول الآخر دوبيت

بالّلطف اذا لقيت من اهواه * عاتبه وقل له الذي القاه
ان اغضبه الوصال غالطه به * اورق فقل عبدك لا ننساه

وقال ابو فراس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
ادت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين اصحابي

وكان الصاحب ابن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا في كتابي سلوك السنن في وصف السكن وذكرت فيه اشياء تليق بهذا الباب منها قول امين الدين بن عطايا

انا اهوى غصن النقا وهو لاه * وفؤادي بحبه في التيه

يا نسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا توذيه
وتحمل رسالة ليس الا * لك امينا في حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولي نسيما * نحو غصن النقا فمن يثنيه

وقال ابن الخياط الدمشقي

يا نسيم الصبا الولوع بوجدي * حبذا انت لو مررت بهند
ولقد رابني شذاك فبا لله متى عهده باطلال نجد

وقال مهيار الديلمي

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وابعثوا لي في الدجى طيفكم * ان اذنتم لجفوني ان تناما

حكي ان نور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم ابو الحسين الجزار فمروا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد هب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا في هذا شيئا قال فما لبث ان قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها * تبدي خفايا الردف والاعكان
وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل اوجه الغدران
ولذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقي احد منا يأتي بمثل هذا فسيروا بنا

وقال علي الصفار

اذا هب النسيم بطيب نشر * طربت وقلت ايه يا رسول
سكوا اني اغار لان فيه * شذاك وانه مثلي عليل

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من اشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي اتلو لهم يا ليتني * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

فقلت انا كأني حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم متيمًا * وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فانا اقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلى فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين ايضاً في محبوبه النسيم

يا من غدا لي من عوا * صف هجره الريح العقيم
انرى يطيب لي الهوى * ويقال قد رق النسيم

قلت انا كأني حاضر اخاطبه

بالله ان رق النسيم واخمدت * نار توججها يدا التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله في الريح

وقال القاضي محيي الدين ايضا

شكراً لنسمة ارضكم * كم بلغت عني تحيه
ولكم اطالت بلـ اطا * بت في رسائلها الذكيه
لا غرو ان حفظت احا * ديث الهوى فهي الزكيه

اخذه صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي من اهل العصر فقال

يا طيب نشر هب لي من ارضكم * فاثار كامن لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي

فقلت انا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضي محيي الدين المتقدم عليه

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

وقد ذكرت في النسيم اشيا مليحه في كتابي سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب ان يكون الرسول من اهل الصيانه * وممن يرجع الى ديانه * لئلا يطمع فيصير خليلا * بعد ان كان رسولا * كما اتفق لرسول ابن سنا الملك الذي قال فيه

راح رسولا وجاءني عاشق * وعاقه عن رسالتي عايق

وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال آخر

راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الى وهو متيم

ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن امانه * وفي مثله تعذر الخيانه *

وقال المتنبي

ما لنا كلنا جو يا رسول * انا اهوى وقلبك المتبول

كلما عاد من بعثت اليها * غارمني وخان فيما يقول

افسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول

اى عيناها بسحرها افسدت امانة الرسول في الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجاني

قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى مني اليك رسولا

ودرى بحبك انه قد خانني * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن احسن ما سمعته في الرسائل والتلطف في الوسائل ما حكى عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان في ايام ابيه احب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه ان يجتمع بها ومضى على ذلك مدة ايام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاءه القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

اهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر رقيق اللحام

فالزر في العنبر تفسيره * زرهكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين المغربي من رسالة النيرين وهي من المحب الكئيب * الى الحبيب الحبيب * افتتحها بقوله يقبل الارض وينهي بين يدي المالك الرحيم * سلطان الملاح * وليث الكفاح * منها

ذهب النيل وعادا * وغرامي يتمادا

كلما قلت غدا ينـ * ـقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبى * نال في الحب المرادا
وانا المسكين وحدى * نلت في الصحب العنادا

قال الراوى ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدى بلت في صحن القطايف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركته يخفض ويصفق ويغنى تللاوله تللاوله يا عوينات الغزاله رحم الله من قتلني واى فخر في قتل مثلى وهل انا الا شويعر مخارف مسخره قد جعل رسائله وسائله * وقصائده مصائده * يستحلب ضرع الضراعه * ويميط قناع القناعه * ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض * وان عطش شرب من بحور القريض * في زمان لا فرق فيه عند اهله بين القادح والمادح * والصائح والنائح

قد ذقت منه ما ليس يقلعه * ابو الحسين القلاع من ضرسى

بلاى شئ احسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدى الصحبه * ويتراشفان كاس المحبه * ويقتطفان ثمر الوصال * ويتسالمان انواع الدلال * ويتواصفان لواعج الغرام * ويتباسطان مباسطة الحمام * ولا يحضرهما غير مزاح ومراح * ولا يلثمهما غير كاس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما * بانا ببليل حميد غير مذموم

يسفران عن نيرين * ويبتسمان عن درين * ويتسارقان النظر بلواحظ جوذرين * كانهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفتى الميزان * ان تنا فلا بعتاب * او تراسلا بكتاب * فدر منثور * وسحر غير محظور * وان تسابقا في ميدان الهوى * او تراشقا بسهام الجوى * فالواتر موتور * والساحر مسحور * وهى رسالة لطيفة ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها في الجزء الثاني من حاطب ليل

وقلت انا مما كتبته الى بعض الأصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها * بها اعين ترنو اليكم وترمق
ولى قلم امسى لرطب لسانه * سلام مشوق قد براه التشوق

الباب العاشر في الأحيال * على طيف الخيال * وغير ذلك مما قيل فيه * على اختلاف معانيه * اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر * وما قيل في سيره من المثل السائر * اذ للشعراء في اقتناصه تحيّل * وحسن تخيّل * طالما اكثروا من ذكره * واستخرجوه من وكره * فقربوا عليه بعد المسافه * ولم يعافوا الحاق زجره بالعيافه * ومن المشهورين فيه بالاجاده * ابو عباده * وغيره كابن النقيب * المتحيّل على اصطياد خيال الحبيب * حيث قال * واحسن في المقال

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن اصيده * ومن عادة الأشراك للصيد تفتح

وما احسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في التوريه

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لي العين ماذا * يصيد قلت كراكى

وقال ايضاً

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

وقال ابو محمد عبد الله السروجي واحسن ما شاء

انعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمرى في هواك وليتنى * اعطى وصولا بالذى انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس * بالصبر منى في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته

بالله ان سألوك عني قل لهم * عبدي وملك يدي وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادري بذا وانا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني * من فرحتي بلقاه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة * لو كان يمكنني الرقاد لحقته

وقال ابو تمام

زار الخيال لها لا بل ازارله * فكرًا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له * من اخر الليل اشراكا من الحلم

وقال ايضا

يا لها لذة تنزهت الار * واح فيها سرًا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا في دعوة الأحلام

وقال البحتري وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحتري ومن ذلك قوله

اذا ما الكرى اهدى الي خيالها * شفى قربه التبريح او نقع الصدا
اذا انتزعته من يدي انتباهة * ظننت حبيبا راح مني او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا * نعذب ايقاظا وننعم هجدا

وقوله

ولم انس اسعاف الكرى بزورها * وزورتها بعد الهدو وما تدري
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر

وقوله ايضا

بعثت طيفها الي ودوني * سير شهرين للمهاري العتاق
زار وهنا من الشام فحيا * مستهاما صبا بأرض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها * والكرى في بروده الأخلاق

وقوله

وليلة هومنا على العيس ارسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا اغازله

فكم من يد لليل عندي حميدة * وللصبح من خطب تذم غوائله
وقال عبد الصمد بن المعدل
واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان
قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدي وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وماهما فانشد
زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل
فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص
وما درى ان نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيى اليقظة الحيل
وقال آخر
الا رب طيف منك بات معانقي * الى ان دعا داعي الصباح فحيعلا
واول من وصف الطيف عمرو بن قمئة في ما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال فقال
نأتك امامة الا سؤالا * والا خيالا يوافي خيالا
خيال يخيل لي نيلها * ولو قدرت لم تخيل نوالا
واول من طرد الطيف طرفة بن العبد حيث قال
فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل
وتبعه جرير فقال
طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام
واعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم * اتلك ليلى انت ليلا ام الغول

وقد ردّ على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي واحسن ما شاء حيث قال

يا ليت شعري هل احب جريراذا بدى اعتذاره
ان كان يصدق حبّه * فالقلب منه كالحجاره
لا بل اشدّ قساوة * فانظر له ابدى عواره
اذ قال قولا لم يقل * ه عاشق او ذو جساره
طرقتك صائدة الفؤا * د وليس ذا وقت الزياره

وقال في الرّد عليه ايضا

هذا مقالك يا جرير لدى اشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصـ * ـلح للمزيارة والوصال
ام قيل قبلك فارجعي * ولذاك ذنب لا يقال
ام كان حبّك كاذبا * فمنامه ينفي الخيال
ام كان قلبك من حديد ليس تؤذيه النبال

وقلت انا

واخجلتا لك يا جرير في المحافل والمشاهد
طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صبّا غير صائد
فرددت طيف خيالها * هذا خيال منك فاسد
الطيف اعشق منك اذ * وافا اليك وانت راقد
لا عاذ مثلك ما بقي * في الناس للعشاق عائد

وقلت ايضا من قصيدة

يطالبني قلبي به فكأنني * غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليل الكرى ونهاره * خيال مسلّم وحبيب مسلّم

وقال شمس الدين محمّد بن العفيف التلمساني

يا حبّذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم في العالم

طيف تجلى نوره ساطعا * حتى رأته مقلة النائم
يا غائباً بحكم في مهجتي * على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكي * حظي منه انه ظالمي

وقد احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم

وقد بلغ النهاية في اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تاخر الخيال فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم * على وقالت رحمة لحبيبي
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيبي

وما احسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه بن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

وقال آخر

وزارني طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيبني * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وقال بن المعتز

ابصرته في المنام معتذرا * الي مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * وجدته عند الصبح لا كانا

قيل من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا او واصل حبيبا * او نال عزا * او وجد كنزا * فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا وربما راى انه قد احدث فاذا انتبه راى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

ارى فى منامى كل شئ يسرنى * ورؤياى بعد النوم ادهى واقبح
فأن كان خيراً فهو اضغاث حالم * وان كان شراً جاءنى قبل أصبح
وقال المعرى
الى الله اشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شراً فهو لا شك واقع * وان كان خيراً فهو اضغاث احلام
وما احسن قول ابن التلميذ
عاتبت اذ لم يزر خيالك فى النوم فشوقى اليك مسلوب
فزارنى منعماً وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب
وقال ابن الاحنف
واحلم فى المنام بكل خير * فأصبح لا اراه ولا يرانى
ولو ابصرت شراً فى منامى * لقيت الشر من قبل الاذان
وما اظرف قول ابن المعتز
الم الخيال بلا حمده * وأبدلنى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * اتت بالحبيب على بعده
ومثله قول الآخر
تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذاك لأمر عز عندى سلوكه
يقرب من اهواه حيناً فانى * حكاه خيالاً فى الكرى فانيكه
وقال بعض مشايخ العصر
لو ان طيفك فى المنام جليسى * ما بت اشكو لوعتى ورسيسى
قمر أدار على خمرة ريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس
ماعيدتى فى قربه وحضوره * ووفائه الا على ابليس
وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف
لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل * وقطع المراحل * وتخطى
الى اغصان القنا * وخاض جداول الظبى * ووطئ شوك النصال
* وعثر بحبال الخيال * ودنا واعين الشهب حولى روان

واطراف القسي دوان * وكيف أعتدّ له بمنّة والفكر مُدنيه وانا يقظان * ويمثل ما لم يكن من قرب كما مثلت العيون منه ما كان * حكي عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدّة طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع رأسه ونام فقالت له لأيّ شئ فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي ارى خيالك في النوم * وحكي عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدّي على الارض لكي ترضى فقالت أعطني دينارا حتى اخليك تضع خدّك على خدّي ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمإٍ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحبّ عادته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وقول الآخر

فهلّا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا يوافينا على البعد هاديا
سقى الله اطلالا بافنية الحمى * وان كنّ قد ابدين للناس حاليا
منازل لو مرّت بهنّ جنازتي * لقال الصدى يا صاحبيّ انزلا بيا

وقال توبة بن الحميري

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا
فهلّا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافينا على البعد هاديا

الباب الحادي عشر في قصر الليل وطوله * وخضاب شفقه ونصوله * وما في معنى ذلك اقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير * فأمسى وماله الى اسفار الصباح سفير * فهو ينشد من شدّة الحرق * وكثرة الارق *

يا ليل طل او لا تطل * لا بدّ لي ان اسهرك
لو بات عندي قمري * ما بت ارعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله * ويصفونه بسواد الوجه

عند حلوله * وعذرهم فی ذلك ظاهر * وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

مات الظلام بليل * احبته حين عسعس
لوكان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين احمد بن منقذ

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش فی الحداد سوافرا * ايقنت أن صباحهم قد ماتا

وقال ايضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابنی * لوكان فی قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع فی ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهی ما حكاه ابو محمد اسماعيل بن منصور الجواليقی قال وقف علی والدی وهو جالس فی حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدی قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال له قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصلينی به النارا
فالشمس بالقوس امست وهی نازلة * ان لم يزرنی وبالجوزاء ان زارا

قال فلما سمعها والدی قال له يا ولدی هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدی لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس فی حلقة حتی ينظر فی علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فی ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنی البيت المسئول عنه ان الشمس اذا كانت فی آخر القوس كان الليل فی غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كان فی آخر الجوزاء كان الليل فی غاية القصر لانه فی آخر فصل الربيع فكانه يقول اذا لم يزرنی فالليل عندی فی غاية الطول

قوله الظلام كذا فی النسخ ولعل صوابه الصباح مصححه

وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد انصف القائل

لا اظلم الليل ولا ادعي * ان نجوم الليل ليست تسير
ليلي كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلي قصير

وما احسن قول الارّجاني

وما ليلنا الا سواء وانما * تفاوتم انا سهرنا ونمتمُ

ومن احسن ما قيل في قصر الليل قول ابي اسحاق الصولي

وليلة من الليالي الزهر * قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفق وفجر * حتى تولت وهي بكر الدهر

وقال الرضي

يا ليلة كادت من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال آخر

سالت الليل لم ولي هزيما * وقد بات الحبيب على اقتراحي
فقال كواكبي غارت وسارت * مخامرة على الى الصباح

ومن احسن ما قيل في طول الليل قول العباس بن الاحنف

ايها الراقدون حولي اعينو * ني على الليل واتركوا الاعذارا
حدثوني عن النهار حديثا * او صفوه فقد نسيت النهارا

وقال آخر

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل * والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال ابن العتارية

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما شكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

وقال ابن الزقاق

لي مسكن شطت به غربة * جادت لها عيناي بالمزن
ما احسن الفجر ولا راقني * بياضه مذ بان في الظعن

كأنما الصبح لنا بعده * عين قد ابيضت من الحزن
وما احسن قول القاضي الفاضل
بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح
وقال ياقوت
كأن الثريا راحة تشبر الدجا * لتعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا
اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال
بكف الثريا وهي جذما يقاس لي * شقاق الدجا مذ مت من الشرق والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضي بالليل او ينقضي نحبي
وقد احسن الأرجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال
لا ادعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفست * لهم اصدا وجهها المصقولا
وقال مضر بن الفقعسي
وليل تقول الناس من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة * مسوح اعاليها وساج كسورها
وقال آخر
ولي سنة لم ادر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى عذل
وقلت انا
مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت * عيني بغير ذرور السهد والسهر
كم بت ارعى نجوم الليل من ارقي * يا اشبه الناس كل الناس بالقمر
وقال الشريشي فاما اكثر الشعراء فهم من الليل افزع * والى النهار انزع * لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر * واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس
وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بانواع الهموم ليبتلي

وقال قيس بن ذريح

اقضى نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتني اليك المضاجع

وقال ابن المعتز

لاتلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

وقال المتنبي

كم زورة لك في الاعراب خافية * ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

هذا البيت امير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد اخذه بعضهم فقال

أقلى النهار اذا اضاء صباحه * واظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لى فيدبر عابسا

وقد احسن في اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قواد) قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لى شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع اتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبي ازورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فاى فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف ومثل قوله هذا ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم في المحبة وامور العشق واحواله ومد أطناب الاطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضمت اليك ليلى * قبيل الصبح او قبلت فاها
وهل رفت عليك فروع ليلى * رفاف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقشر وقال المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسري اليهم   وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بأنه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه وقال بن رشيق

ايها الليل طر بغير جناح * ليس في العين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني ولوا الوجوه الصباح

حكى الاصمعي قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل ابو نواس فقال ما احدث بعدنا يا ابا نواس فقال يا امير المؤمنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

يا شقيق الروح من جسدي * نمت عن ليلي ولم أنم

الابيات حتى اتى على اخرها فقال احسنت والله يا غلام أعطه عشرة الاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج وحكى عن المطرز الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فأمر باحضاره وقال له انشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية وقال اهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف ايده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندي احسن من قول الشريف وقال ابو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي اجز هذا النصف * قد بلغ العشق منتهاه * فقلت 

وما درى العاشقون ما هو * فقال وانما غرهم دخولى * فقلت
فيه هاموا به وتاهوا * فقال ولى حبيب يرى هولى * فقلت
وما تغيرت عن هواه * فقال رياضة النفس فى احتمالى * فقلت
وروضة الحسن فى حلاه * فقال اسمر لدن القوام املى * فقلت
يعشقه كل من يراه * فقال ريقته كلها مدام * فقلت
ختامها المسك من لماه * فقال ليلته كلها رقاد * فقلت
وليلتى كلها انتباه * ثم ان مظفر الدين اكملها مدحا فى
السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه

## الباب الثانى عشر فى قلة عقل العذول * وما عنده

من كثرة الفضول * اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل
والقال من العذال * واستحق بامساك لحيته عند عذله نتف السبال
* وكيف لا وهو لكثرة فضوله * وقلة محصوله * يدخل بين
الروح والجسد * والوالد والولد * طالما اصبح بين المحبين
قفا بين صفاعين * لا يفتح له باب * ولا يرد عليه جواب

واتعب من ناداك من لا تجيبه * واغيظ من عاداك من لا يشاكل
وما التيه خلقى فى الهوى غير انني * بغيض الى الجاهل المتغافل

فليته استراح واراح * وصان عرضه المباح * فقد اكثرت الشعراء
فى الرد عليه * واعتذرت المحبون اليه * كما قيل

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

وكان يقال ليس من العدل * سرعة العذل * وكان يقال رب
ملوم لا ذنب له وكان يقال (لعل لها عذرا وانت تلوم) فكم عاذل
زاد المحب بعذله لجاجه * وجنونا اكثر من الحاجه ❊

لا بدلن هوى بلوم انه * كالريح يغرى الناس بالاحراق

وقال الآخر

وما عذولي ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمّار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامن اذا باعت الابصار أسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحا الذ به * فليت عذال قلبي فيك لا برحت

وما احسن قول بدر الدين محمد بن العفيف التلمساني

اسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

وقال والده واحسن ماشاء

ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليه ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه انا السبب

وقال الآخر

قد اجتهد اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زورا لكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وحكى بن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه فقال ابن وكيع في الحال

ابصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماه

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدقه مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم

قال لى عذلى متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال ايضا

ان قوما يلحون فى حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا واعطوا خبيثا

وقال ايضا

من منصفى من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمد بن شرف القيروانى

قل للعذول لو اطلعت على الذى * عاينته لعناك ما يعنينى
انصدنى ام للغرام تردنى * وتلومنى فى الحب ام تغرينى
دعنى فلست معاقبا بجنايتى * اذ ليس دينك فى المحبة دينى

وما احسن قول الآخر

يقول لى العاذل فى لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال آخر

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده * ووكل اجفانى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعود لى * ويا مهجتى صبرا على ما كواك به

وقال عرقلة

قال العواذل ما الذى استحسنته * منه وما يسبيك قلت جميعه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

يا خيبة العاذل الذى قد * اطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلو * عن حب ما ما فقلت لا لا

وقال ايضا

ايها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتي واين مني ثقاتي * اين من يبتغي اليّ الوسيله
انا ميت فقبّلوني اليه * فحياتي وحقه تقبيله

وقال النور الاسعردي

اقول لعاذلي لما نهاني * وقد وجد المقالة اذ جفاني
علمت بأن سر النجني * وفاتك انه حلو اللسان

وقال ابو الفتح فادوس في الأكتفاء

من عاذري في عاذل * يلوم في حبّ رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

ومثله قول شيخ الشيوخ بحماه

اغضب العشاق منه انني * لم ابع في حبّه رشدي بغي
قلت قد اضنيت جسمي قال قد * قلت كي ينهب روحي قال كي

وقال ايضا

راموا فطامي عن هوى * غُذِّيتُهُ طِفلاً وكَهلا
فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوّني والّا

ومثله قول الوداعي

يا لائمي في هواها * افرطت في اللّوم جهلا
ما يعلم الشوق الّا * ولا الصبابة الّا

وما احسن قول بن سنا الملك في هذا المعنى

اهوى الغزالة والغزال وربّما * نهنهت نفسي عفّة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهداً * حتى اذا أعييت اطلقت العِنا

وقوله ايضا

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * فقبلته في الخد تسعين او احدى

وقوله ايضا

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم * فيا ليته لو كان يدفع بالتي
وقال شيخ الشيوخ بحماه
اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنت ان توحشوا فؤادي * فأيئسوا مقلتي ولا تو
وقال بن المعتز
زاحم كمي كمه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا * يا قرة العين ويا همي ويا
وقال ابن مطروح
والله لا أخطر السلو بمهجتي * ما دمت في قيد الحياة ولا اذا
رجع الكلام في العذل وقال الآخر دوبيت
لما نظر العذال وجدي بهتوا * في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما نحسب الا اننا نعذ له * من يسمع من يعقل من يلتفت
وقال الآخر
قالوا اسله واطرح هواه * فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لا تطيلوا * والله والله ما افكه
وما احسن قول شهاب الدين بن الخيمي رحمه الله
وعذول رابني في نصحه * كلما زدت إبا زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجى
وقال آخر
لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل
انشدني الشيخ برهان الدين بن القيراطي
ذهب العمر بلوم * وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر * ضاع في قيل وقال
وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار

لو رأى حسن وجهه * عاذلي في النسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور زهم

وقال ايضا

لحى العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدى * وقعت على اصل القفا

وما اظرف قول النور الاسعردى

وقالوا دع المعشوق واهجره دائماً * الم تره بعد الملاحة ينتف
اينتف من اجلى ويتعب دائماً * واهجره تالله ما انا منصف

وقال آخر

قل للعذول اطلت اللوم فى قمر * يزيد فى كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما فى حسنه عجب * قم فانظر الورد فى خديه منثورا

وقال محيى الدين البغدادى

ان لامنى من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان لحانى من رآه فقد * اضله الله على علم

وقال البهاء زهير

انت الحبيب الأول * ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يامن يهدد بالصدود * نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى * لكننى اتعلل
قل للعذول لقد اطلت * لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل

وقال ابو العتاهية لقيت ابو نواس فى المسجد الجامع فعذلته

وقلت له اما آن لك ان ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الىّ وقال

اترانى ياعتاهى * تاركا تلك الملاهى
اترانى مفسدا بالـ * نسك عند القوم جاهى

فلمّا ألححت عليه فى العذل انشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيّها * ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت انى قلت هذا البيت بكل شئ قلته وقال الجوّ بان الغواس

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنه بغير ملال
لتلقطى زهرات وَرْدِ حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق * والمحب الوامق * الا تراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصّانع * وجنى من عذله جنى النحل ممزوجا بماء الوقايع * فهو فى هذا المقام من الاثبات * كما قال ابو الشيص من أبيات

أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبّا لذكرك فليلمنى اللوّم

وقال ابن رشيق وقد زاد على ابى الشيص فى قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول

هُدّدت بالسّلطان فيك وانما * اخشى صدود ك لا من السّلطان
اهوى الملامة فيك حتى لو دَرَى * اخذ الرشا منى الذى يلحانى
حسبى لقول النّاس بعد منيتى * هذا قتيل فى وداد فلان
فلأنفقنّ عليك عمرى كلّه * ولأعشقنّ عليك كلّ هوان

قلت والذى اقوله انا فى هذا المقام * انّ صاحب هذا الكلام غريم الغرام * ونديم كؤس المدام * الا تراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعاله * فاصبحت حالته كما قيل ضغث على أباله * فهو كما قال بعض السادات من الولايات * لو تعلم العوام ما فى قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات * ومثل قوله هددت بالسلطان قول الاخر

وان نُذِرت فيك العشية قتلتى * فللموت عندى فى هواك سلام
ومن اعجب الاشياء خوفى فى الهوى * ولى كل يوم فى حماك حمام

وقلت انا

وعاذل بالغ فى عذله * وقال لما هاج بلبالى
بعارض المحبوب ما تنتهى * قلت ولا بالشيب والوالى

وقلت ايضا

عذلوا على من رام قتلى فى الهوى * فكلامهم ضربٌ من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن فى الـ محبوب غير الطعن فى الميدان

وقلت ايضا

كم خالف العذال قولى فى الذى * فى كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى فى الملاحة مفرداً * قالوا انثنى عطفه المياد

وقلت ايضا

ياعاذلى لا تلحنى * فى حب هذا القبطى
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القط

وقلت ايضا

مليح الترك لا سيما الخطابى * عليه الشيخ يعذر للتصابى
فدعنى من ملامك ياعذولى * فحبى للخطا عين الصواب

وقلت فيمن اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلى لا تلحنى فى حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

وقلت

اقول لظبى قلبه يشتكى الاسى * هو الحب فالم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذى ارى * محا لفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة

وازنت ميلى للعذول وقده * فرايت ميلى للقوام رجيحا

يا عاذلي لا اصا فحتك يد النوى * حتى توسّد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبا في الهوى * لكنهم لا يقبلون نصيحا
وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر
فيا من جاء يعذل مستهاما * على حلو الشمائل ما أمرك
وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها
لك من حبيبك ما تحب وتشتهي * فاجعل مدامك من مقبله الشهي
واذا بدا لك ثغره متبسما * فاضحك على ذقن العذول وقهقه
وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بدمشق الشام
يا ساكني السفح لي في حيكم سكن * وانتم في سويدا القلب سكان
دمعي يزيد كبا ناس لبعدكم * والعاذلون على ثوراء ثيران

ومنها

قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفي الآن فالعذال الاكانوا
انا الذي لا ابالي في الغرام بما * يروى فلان ولا ما قال فلتان

ومنها

برهنت حسن الذي اهوى وقلت له * ما للعذول على ما قال برهان
ملامني مذ رآني في الهوى رجبا * بمزح شعبان فيما رمت شعبان
تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الأسماء المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الأصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا ومن احسن ما سمعت فيه
وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان اني رجب
وقلت انا ايضا
يسطو علي من الدلال كأنه * غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه * فانا القتيل بلحظه وبيانه
اني وحقك في هواه متيم * صب غدا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الأمر الذي لا يقدر على رده واصله ان سعدا وسعيدا بني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ابوه ضبة اذا رأى رجلا مقبلا قال اسعد ام سعيد ثم انه في بعض مسيره اتى الى مكان ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحارث قتلت ها هنا فتى هيئته كذا وكذا واخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه ومن احسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الأجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام * ذكرت قول ابي نواس في المدام

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني على بيت أوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره ابقراط في معرفة الدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد هولت علي فقال هو قول ابي نواس * دع عنك لومي البيت قلت ويتعلق بهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في درة الغواص عن حامد بن العباس انه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال له ما انا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها والاعشى
هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهليه وقد قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابونواس فقال

دع عنك لومي فأن اللوم اغرآء * وداوني بالتي كانت هي الدآء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد
ان تجيب ببعض ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب
المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه
وسلم ثانيا وبين الفتيا وادى المعنى وتبرأ من العهدة فكان
خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل حامد منه
لما ابتداه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ان الذي جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها
لم يصلب الراوق الا عندما * قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها * ما لامني لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفرآء يطفي خمرها * لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا * في طرق لومك ان اردت فراقها

وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال

اعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي
ما دمت خلوا فما انفك منتهما * اعشق وقولك مقبول على وجلي

وقال الآخر

لو تعلم الورق حنيني نحوكم * لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي * صبا معي لكنه ما ذاقها

حكي ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل
النامدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد
احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشيآء انكرها

في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب
فانشده

ما ناصحتك خبايا الودّ من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى ان تسامحني * بأن اراك على شيء من الزلل

الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة * الى الوصل والزياره * اقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور * وما قيل فيهما من منظوم ومنثور * وغير ذلك من عيادة الحبيب * وما يستدل به عليه من روائح الطيب * كما قيل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا * وامسى له الفضل زائرا ومزورا * كما قيل

ان زارني فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل * ولو الحق فيها الوابل بالطل * ومن احسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شيء جزعا
زائرا نمّ عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودّعا

وما احسن قول ابن المعتز

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

وقال الآخر

زارت على غفلة الرقيب * كظبية روّعت بذيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

قال

قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعماً انها اصدق كلمة قالها الأواخر

يقولون لي بالله ما انت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أبكيه

وقال يعقوب الشيباني

قلت اذ زار من احب وجنح الليل روض ابدى لنجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحسن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلساً حين يمشي * واجعلوا عسجد الكؤوس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم بسري الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا * لنجاشي الظلام كن برد دارا

وعلى ذكر البرد دار ما احسن قول الآخر دوبيت

يا ليل لك الثناء والمدح يليق * اذ انت لأهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت برد داراً لهم * لا تعط عليهم قط للصبح طريق

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ حباني حبيب * وغناء يسلي النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن انت يا دجى برد دارا

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * بمحل النزاع كيف استدلا

وقال الآخر

يا حبيبي وانت ما * زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة * بت فيها مهوما
حين وليت غائبا * افل البدر في السما
ليت شعري من الذي * من اخيه تعلما

وقال بشار بن برد

يا اطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * ثني ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمايه باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فاخبروني به قلت واخبرني الان بعض الصوفية المقيمين عندي بالصهريج انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاج ثم اقام بعد ذلك سبعة ايام ومات رجع الكلام وقلت انا

لي حبيب له حديث موافٍ * كل يوم ياتي اليه مرارا
قلت زرني فقال اخشى عذولي * شغل الحلي اهله ان يعارا

وقلت ايضا من قصيدة

زار الحبيب ووجه الورد نجلا * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفي الان فالعذال لا كانوا
ما ضر في ضيق عيشي حين واصلني * سم الخياط مع الاحباب ميدان

فصل في نم الطيب على الحبيب ما احلى قول ابن سكره

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وباب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وعطر النحر والنفس

اخذه المعتمد بن عباده فقال واحسن ما شاء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد اذنت * فأت على غير رقبة ولج

اقبلت اهوى الى رحالهم * أهتدى اليها بريحها الأرج
قيل ويستدل بالطيب على السلوك فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه بن النبيه
ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق
وقال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب اخت الحجاج من قصيدة
تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الكفرات
يخمرن اطراف البنان من التقى * ويطلعن نصف الليل معتجرات
ومنها
ولما رأت ركب النميرى أعرضت * بكره لأن يلقينه حذرات
ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهى مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائى
فسرنا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل
وقال آخر
وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف
وقال آخر
لو كان يوجد ريح مسك فائح * لوجدته منهم على أميال
وقال بن الرومى
اعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا
وقال المتنبى
وتفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق
فصل ومن احسن ما سمعته فى العيادة قول الطغرائى
خبروها انى مرضت فقالت * اضنى طارفا شكا ام تليدا
واشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى ان تعودا

وانتني في خفية وهي تشكو * الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

انشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة

ومملولة في الحب لما ان رأت * اثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * انا بالسقام وانت بالأعراض

وما احسن قول السليماني

وانا الذي اضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذي

وقال الآخر

لا تهجروا من لا تعوّد هجركم * وهو الذي بلبان وصلكم غذي
ورفعتم مقداره بالابتدا * حاشاكم ان تقطعوا صلة الذي

ومن عظيم ما يحكى عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين بن عنين كتب اليه وهو ضعيف

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندا وتلاف قبل تلافي
انا كالذي احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثماية دينار وقال انت الذي وهذه صلتك وانا العائد قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول واجاد * وعامله الملك المعظم في السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد * ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان ادل دليل على فضله * وسداد نبله * فما الشان بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه * العظيم سلطانه * فكم أقر لابن عنين عينا * ووفى عنه دينا * فنال به السول * وطرب من الصلة والعائد ببره الموصول * لا جرم انه ملا بمدائحه ديوانه * وقال فيه من قصائده الطنانة

كريم الثنا عار من العار باسل * جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية * هي الشمس للاقصى سناها وللأدنى

ولي انا من قصيدة في هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخلصها

تطاول غصن البان يحكي قوامه * فقلت له والله قد جئت في المعنى
ولكن بدر التم والبحر قصرا * عن الناصر السلطان في الحسن والحسنى

ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال بن عنين

نحن قوم ماذكرنا لامرئ * قط الا واشتهى ان لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا ذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صفع الله براصل الحانا) رجع الكلام الى العياده ما احسن قول السراج الوراق

قال الصديق ولم يعدني * وعارض السقم في اثر
لقد تغيرت يا صديقي * ويعلم الله من تغير

وقوله ايضا

مرضت لله قوما * ما فيهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعاني

ولهذا البيت اشباه ونظائر ذكرتها في كتابي الطارئ على السكردان منها ما حكي عن القاضي ابو بكر بن العربي وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة اضربك به فانشأ القاضي ابو بكر في الحال لنفسه

يهددني بالرمح ظبي مهفهف * لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سالت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث

من هذا البيت فلم يجب احد منهم بطائل وقال ابن النقيب
سمعت بما تشكو وما انت واجد * فظلت دموع العين في الخد تسفح
وارسلت خطي في العيادة نائبا * وما كل خط للعيادة يصلح
وقال المعتمد بن عباده
مرضت فامسكت الزيارة عامدا * وما عن قلي امسكتها لا ولا هجر
ولكنني اشفقت من ان ازوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر
وقال الشهاب محمود في القول بالموجب
رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر ايضا
واورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني
غالطتني اذ كست جسمي الضنى * كسوة اعرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما
وقلت انا حين وقفت على قول الارجاني هذا بديها
شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما قاسيت من الم البعاد
فقالت ان حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد
وما احسن قول محاسن الشواء
ولما اتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمي قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض
وقال بن النقيب
وما بي سوء عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي
والاصل في هذا كله
وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به اعين الانس
وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكوافي

اسم حبيبي ومايعاني * قد شغلا خاطري ولبي
قالوا علي فقلت قدرا * قالوا كوا في فقلت قلبي

وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت ادناني يضاعف تبعيدي
أقر بُرقي اذا اقول انا له * وكم قالها ايضا ولكن لتهديدي

وقال السراج الوراق

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم نفس ليت لا احملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

الباب الرابع عشر في الرقيب النمام * والواشي الكثير الكلام * اقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر العين * كثير المين * يرى المحب بعين المقت * في كل وقت * ويرميه في الحضرة والمغيب * بكل سهم مصيب * فكم ترك المحب مضنى * وافقره فيمن احب وما استغنى * فهو كالصبح قاطع اللذات * تعيس الحركات * قبيح المنظر * سيئ المخبر * كثير اللجاج * حجر في دكان زجاج * فهو والنمام * في الاذى فرسا رهان * رضيعا لبان * ومن ابلغ ما سمعته في الرقيب

انا والحبيب ما خلونا ولا طرفة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بحيث ان يمكن الدهر * ربا ني اقول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت انت الشيخ فوافى فقلت كيم الطبيب

وقول بن المعتز

وابلاءي في محضر ومغيب * من حبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل شربها برقيب

وقال ايضا

قد دنت الشمس للمغيب * وحان شوقي الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم * له حبيب بلا رقيب

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب * وغيبة الرقيب * قال الصاحب بن عباد

قال لي ان رقيبي * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنة حفت بالمكاره

وقال آخر

لسهم الحب جرح في فؤادي * وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكي * مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا * لصب على محب او حبيب

وقال آخر

يسقيك من كفه مداما * الذ من غفلة الرقيب
كانها اذ صفت ورقت * شكوى محب الى حبيب

وقال ابو نواس

لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا * سلم الرقيب من العمى

وقال الصفي الحلي

ومليح له رقيب قبيح * يتعنى وغيره يتهنا
ليس فيه معنى يقال ولكن * هو عند النحاة جاء لمعنى

وقال آخر

قالت صفا الوقت ولكن الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب ارضني قالت اذا

وقال آخر

احب العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعي
واهوى الرقيب لان الرقيب * يكون اذا كان حبي معي

وقال ابو جعفر احمد بن الابار

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا

قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره اتى الجناب الرحيبا
عاطه اكؤس المدام دراكا * وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من نتفيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بدا ان تدب عليه * قلت ابغى رشا واخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب نال محبوبه وناك الرقيبا

قال بن بسام لقد تظرف بن الابار وأبدع واحسن ما شاء وقدر واظنه لو قدر على ابليس الذى تولى هذا المذهب لدب عليه * ولم يخلص من يديه * وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال
فكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقال ابو نواس
اذا هجع النيام فخل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
الذ لنيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب او خوف الرقيب

وقال ابو الوليد محمد بن حسان الحنفى
نشر النسيم بعرفكم يتعرف * واخو الغرام بحبكم يتشرف
شرف المتيم فى هواكم انه * طورا ينوح وتارة يتلهف
صب اذا كتم الغرام ولم يبح * نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه * اخفى عليه من النسيم والطف
وكانما يفذ النسيم دياركم * وله على تلك الديار توقف

قال عروة بن عبد الله كان عروة بن اذينة الليثى نازلا فى دار ابى العقيق فسمعته ينشد لنفسه
ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فاذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة * اخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ماكان اكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها

فاتانى ابو السايب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر الك حاجة قال نعم ابيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فانشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدايم الصبابة الصادق لا كالذى يقول

ان كان اهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وارغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لأرجوان يغفرالله لصاحب هذه الأبيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ماكنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف وقال بن رشيق

تأذى بلحظى من احب وقال لى * اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * علىّ فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال لى * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

وقال آخر

ورقيب عدمته من رقيب * أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل فى الظلام وعندى * هو كالصبح قاطع اللذات

وسألت فى وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطى هل تحفظ شيئا مليحا فى هجو الرقيب فسكت لحظة وانشدنى لنفسه

قال لى صاحب يروم قريضا * فى هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم فى الرقيب شئ مليح * قلت ما فى الرقيب شئ مليح

وقلت انا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغنّ لي * وقل في ثقيل نحسه متغيّب
رقيب نُفي عن ارض ليلى عشيّة * وأخرج منها خائفاً يترقب

وقلت ايضا

عاذلي في الحبيب دعني فأنّي * برّحت بي في حبّه البرحاء
راقب الله في محبّ حبيب * من نجوم السّما له رقباء

وقلت ايضا من قصيدة

فبت ولي شغل * عن العذل شاغل
يذود الكرى عنّي * من السّهد ذائد

وقلت ايضا من رسالة * واما الرقيب فأمره عجيب * وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب * فهو بالنهار من الذين يراؤون * وبالليل نزفاعلة لاينام ولا يخلي النّاس ينامون * فأذاه اذا ورد من بعيد * اقرب من حبل الوريد * والعاشق بينه وبين العذول * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * فهو ان قعد قامت القيامه * وان راح لا كتب الله عليه سلامه * فصل في النمام والواشي وما اظرف ما سمعتُ في ذلك

قال لي عوّدي غداة رأوني * ما الذي تشتهيه واجتهد والي
قلت مِقلَى به لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضافوا اليه كبد حسود * فغنت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذي تشتهيه فقال اعين الرقباء والسن الوشاة واكباد الحسّاد

وقال الاخر

لي عندكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها و * سنة الوشاة واعين الرقباء

وقال صلّى الله عليه وسلّم ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلّى الله عليه وسلّم اربعة يؤذون اهل النّار على ما بهم من الاذى منهم رجل ياكل لحوم الناس ويمشي بالنميمه وقال وضّاح اليمني

فاعص الوشاة فانّما * قول الوشاة هو الفتن
انّ الوشاة اذا اتو * ك تنصحوا ونهوك عن

حكي انّه غنى مغن بحضرة السّلطان عماد الدّين زنكي صاحب الشام بقول الشاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الـ * واشي اليه حديثا كلّه زور
سلّمت فازورّ يثني قوس حاجبه * كأنّني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السّلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فأمر باحضاره ليتّخذه نديما * ويجله من حضرته مقاما عظيما *

وقال السّري

والقاك بالبشر الجميل مداهنا * فلي منك خلّ ما علمت مداهن
أنمّ بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

وقال شهاب الدّين بن الأثير

انّي بحبّك مستهام مغرم * وسوى هواك على القلوب محرّم
لا تسمعي قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه ونمو
فمناي ان ترضي ولو عنّيتني * اي والطلاق وثلاث لي يلزم

وقال آخر

شيخ يرى الصّلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجّاج في الحرم
خصاله لست احصيها لكثرتها * لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتد اثيم عتلّ بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير ان الهمّاز الذي يهمز الناس اي يذكرهم بالمكروه وياكل لحومهم بالطعن والغيبة

وعن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهراً واللمزة سرّاً بالحاجب والعين والنمّام ناقل الكلام السيئ وقد اكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال

لم اكره النمّام اخواننا * أساء اخوانى وما احسنوا
ان كان نماماً فمعكوسه * من غير تكذيب لهم مأمن

وقال آخر

اسمع نصيحة عارف * جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو * ن من الثقاة على ثقه

وقال آخر

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمام

وقال آخر

لا افتضاحى فى عوارضه * سبب والناس لوّام
كيف يخفى ما اكابده * والذى اهواه نمّام

وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

اخفيت حبك عن جميع جوارحى * فوشت عيونى والوشاة عيون
ووددت ان جوانحى وجوارحى * مقل تراك وما لهن عيون
ياليت قيساً فى زمان صبابتى * حتى اريه العشق كيف يكون

الباب الخامس عشر فى العتاب * عند اجتماع الاحباب * وما فى معنى ذلك من الرضى * والعفو عن ما مضى *

اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الذمن الأمانى * وبث هوى ارق من النسيم المتوانى * نعم فى العتاب فوائد جمة * وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمة * وهو على اقسام عتاب هو فى تاكيد

المودة بحصيل الحاصل * وعتاب لتكذيب الناقل * وعتاب لتمييز الحق من الباطل * ومن المعلوم ان للعتاب * بين الأحباب * اصل وفصل * وقطع ووصل * لابدّ منه * ولاغناء عنه * اللهمّ الاعند من لايراه البتة * ولايعاتب الحبيب الأقلته * كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحبّ فيما جاء واحدة * ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي امثال العرب أسوأ الآداب * كثرة العتاب * وقال الاحنف العتاب مفتاح التقالى والعتاب خير من الحقد وقد قال بشار في تقليل العتاب

اذا كنت في كل الأمور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

وقال سعيد بن حميد الكاتب

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال آخر

وبعض العتاب اذا ما رفعت * يباعد هجرا ويدنى وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه * فأن لكل مقام مقالا

ومن اظرف ما سمعته في من جفى من الأحباب * ثم بادر بالعتاب * قول بعضهم

عتبت عليّ ولا ذنب لي * بما الذنب فيه ولاشك لك
وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل ان يأخذك

ومنهم من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر وسبيل الصدود والقطيعة كما قيل

لاتفرعنّ سماع من * تهوى بتعداد الذنوب

ما ناقش الأحباب الا من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يراه * ولا يأباه * كما قيل

تصالح عاشقان على عتاب * فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

وقال آخر

واحسن ايام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب

كتب الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يزاد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب ببيت شعر * اعاتبه فاغضبه جوابى
اجبنى يا ملول على كتابى * فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجرا * وابعادا الى يوم الحساب

وذكرت هنا قول ابن رشيق

وظبى من بنى الكتاب يسبى * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه * واسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا * مسامحةً فلا يُعدى عليه

وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واحشاءى وشربى المدامع
وجنى يعاطينى كؤوس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تُقطَّعُ اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر * وعبرة لمن اعتبر * وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب * والحق الحبيب بالحُباب * فاصبح وقد ضاقت عليه الحيله * وشبه ثغر محبوبه

بأنياب ضئيله * فقابل صفو عتابه بالكدر * فيا قلبه القاسي احديد انت ام حجر * وما اظنه ملا كؤوس هذا الملام * الا من ماء ملا ابي تمام * حيث تجاوز الحد في الاستعاره * وخرج وعلى كتفه من الملام كاره فقال

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكاءي

فهلا تنزه عن الانخراط في هذا السلك * واقتدى بقول ابن سناء الملك

وأملي عتابا يستطاب فليتني * اطلت ذنوبي كي يطول عتابه

وفي غزلي ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق باخلاق الناس * وتأسى بقول ابي فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب

يعد علي الواشيات ذنوبه * ومن اين للوجه المليح ذنوب

على انه رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر * فحينئذ يكون كلامي حديث خرافة يا ام عمرو *

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال الآخر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

واحسن منه قول عتيق بن محمد الوراق

كلما أذنب ابدى وجهه * حجة فهو مدل بالحجج

كيف لا يفرط في اجرامه * من اذا شاء من الذنب خرج

وقال الحكم بن قنبر المازني

كانما الشمس من اعطافه لمعت * حسنا او البدر من ازراره طلعا

مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الاساءة معذور بما صنعا

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

وهذا ماخوذ من قول ابي نواس في سياقه

وجهي اذا اقبلت يشفع لي * وبلاء طرفك حسن ما خلفي

وفيه زيادة بذكر ما خلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء * واعذب
ثناء وقال ابو فراس

قل لأحبابنا الجناة علينا * درّجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كل حال

وقال ايضا

الا ايّها الجانى ونسأله الرضى * ويا ايّها المخطى ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب وحده * ومن لا يردّ الغيب حين تغيب

وقال الآخر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال الآخر

واذا ما غضبت يوماً عليه * لذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى * اترضاه كي يزول الملال

وقال الآخر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فأنني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني * والله يعلم انني مظلوم

وقال الفراء

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

وقال بن المعتز

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً * ان برّ عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلّك من يعصيك مستترا

وقلت انا من رسالتي قرع الباب * وانتظار الجواب *
فنعوذ بالله من زلة العاقل * ونبرأ اليه من التمادي في الباطل
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من بنيّات الطريق
فقد حصحص الحق * وقرع العتاب بحلقة الباب فقال
طق * وقال الاخر

وهبه ارعوى بعد العتاب الم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأنني بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب * وقال من دق الباب سمع الجواب * فاجابهم

فان كنتم تلقون في ذاك كلفة * دعوني امت وجداً ولا تتكلفوا

فصل في العفو والرضى * والصفح عن ما مضى * جاء عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى واصفح الصفح الجميل أنه الرضى بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر صادق او كاذب لم يرد على الحوض وقال الشاعر

ذنبي اليك عظيم * وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن في فعالي * من الكرام فكنه

وقال آخر

ما احسن العفو من القادر * لاسيما عن غير ذي ناصر
ياغاية القصد واقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فماله غيرك من غافر
اعوذ بالود الذي بيننا * ان تفسد الأول بالآخر

كان ابو محمد اليزيدي ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق استحيا وانقطع عن الركوب اياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المأمون ابياتا منها

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت مني الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوي السكر والصحو
ولاسيما إن كنت عند خليفة * وفي مجلس ما أن يجوز به اللغو

فلما قرأها المأمون وقع في الرقعة سِرْ الينا فقد عفونا عنك

فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوى معه اخذه الشاعر فقال

انما مجلس الشراب بساط * فاذا ما انقضى طوينا بساط

وقال بن سنا الملك واما ذلك الحبيب فأنه حضر متفضلا وجاء متذللا * لا متدللا * واستجار بحرم الحرم * وخفض جناح الذل من الرحمه * واعتذر بأن الادلال دلاه بغرور * واوقعه فى أمور * واخرجه من الظلمات الى النور * فقبل عذره * وقبل ثغره * وامتثل امره * وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه * واذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه

واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال الآخر

وزعمت انى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى * هذا مقام المستجير العائذ

وقال ابن زيدون

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بى فى حبك المذهب
ألزمتنى الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح اننى المذنب
فأن من اغرب ما مر بى * ان عذابى فيك مستعذب

وقال آخر

وما قابلت عفوك باعتذار * ولكنى اقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار * ويحكم بيننا الخلق الجميل

الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين * اذا وصلت لعظم السكين * اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس فتوه * واغزرهم مروه * وارقهم قلبا * واحسنهم مربى * ممن اصبح بين المحبين قديم هجره وهجره * وامسى له بكؤس المحبة الف سكره * لا جرم انه اعان ذوى المحبة * ووازن بنفسه من فى قلبه من الغرام مثقال حبه * فسعى فى اصلاح

حاله * وساواه بنفسه وماله * ولله القائل * في هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * او معينا او عاذرا أو عذولا

فأن كنت خاليا من ذلك كله

أعني بأطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

قلت اولا اقل من ذلك * يا ابنة مالك * ولله القائل في ذا

لو تعلم الناس من شوقي ومن كلفي * ما بت اعلمه استسقوا بميعاد

واستشفعوا الى الغي باجمعهم * وجاء عائدهم في زي قواد

ومن اعجب ما سمعته في اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله ان يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا افلا احيي الناس جميعا وحكى الخرائطي انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك في المنام كأنما * عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا * بتنا جميعا في فراش واحد

فطفقت نومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

فأجابته الجارية

خيرا رأيت وكل ما أبصرته * ستناله مني برغم الحاسد

اني لأرجو ان تكون معانقي * فتبيت مني فوق ثدي ناهد

وأراك بين خلاخلي ودمالجي * وأراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحها واحسن اليهما على شدة غيرته
وقال ابو الفرج ابن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له
فقال المهلب

لعمري اني للمحبين راحم * واني بسر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ود مبدد * واني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة الاف دينار * وروى عن عثمان
ابن عفان رضي الله عنه انه جاءته جارية تستعدي على رجل
من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المؤمنين
احب ابن اخيه * فما انفك اراعيه * فقال له عثمان اما ان
تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها لابن اخي واتي علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل
فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكني اصدقك

تعلقت في دار الرياحي خودة * يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب * اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة * ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا * هو اللص محتوما له القتل والاسر

فلما سمع علي شعره رق له وقال للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله لنعرف نسبه فقال النهاس
ابن عتبة العجلي فقال خذها فهي لك وحكى التميمي في كتابه
امتزاج النفوس ان معاوية بن ابي سفيان اشترى جارية
من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا
منها * وفارقته كالغصن يهتز في الثرى * طريرا وسيما بعدما طر شاربه
فسألها فقالت له هو ابن عم لي فردها اليه وفي قلبه منها
شرر النيران وذكر الخرائطي ان المهدي خرج الى الحج حتى

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوىّ دخل عليه وبكى
وقال يا امير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال للحاجب
ويحك ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه
فقال من عشيقتك قال ابنة عمى قال ألها ابّ قال نعم قال
فما له لا يزوجك بها قال ههنا شئ يا امير المؤمنين قال
ماهو قال انى هجين والهجين الذى امّه امة ليست بعربيّة
قال له المهدى فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل فى طلب
أبيها فأتى به فقال هذا ابن اخيك قال نعم قال فلم لا تزوّجه
كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من اولاد العباس
عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العبّاس وهم هجُن فما الذى
يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوّجه
ايّاها على عشرين الف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة
آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى
ببدرتين فدفعهما اليه فانشاء الشاب يقول

ابتعتُ ظبية بالغلاء وانما * يُعطِي الغلاء لمثلها أمثالى
وتركت اسواق القباح لاهلها * ان القباح وان رخصن غوالى

وعرض خالد بن عبد الله القسْرى سجنه يوماً فكان فيه
يزيد بن فلان البجلى فقال له خالد فى اىّ شئ حبست يا يزيد
قال تهمةٌ اصلح الله الأمير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم
ايّها الأمير وكره ان تُعرّض بقصته لئلا يفتضح معشوقه
فقال خالد أحضروا رجال الحىّ حتى تقطع يده بحضرتهم
وكان ليزيد اخ فكتب شعراً ووجه به الى خالد

اخالد هذا مستهامٌ متيّمٌ * رمته لحاظ انه غير سارق
اقرّ بما لم يأته المرء انّه * راى القطع خيراً من فضيحة عاتق
ولولا انّنى قد خفت من قطع كفه * لألفيت فى امره غير ناطق

اذا بدت الرايات للسبق في العلا * فانت ابن عبد الله اول سابق

فلما قرا خالد الابيات علم صدق قوله فأحضر اولياء الجارية فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده وذكر احمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بمعلمه حتى صيّره قريبا منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا راينا محبا قد اضرّ به * طول الصبابة اوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلى العريف ولا تخشين من أحد * امسى العريف صغير السن ولهانا

امّا الفقيه فلا يسطو عليه أذى * فانه قد بلى بالعشق الوانا

وذكر الخرائطي عن ابي عساف قال مرّ ابو بكر رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي * متماشيا مثل القضيب الناعم

فسألها أحرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها فانشدت

وانا التي لعب الغرام بقلبها * قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر ابن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله قد مات بهن كريم * وعطب بهن سليم * ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت انجزيها وعلى اثمها حدث محمد بن عبد الله بن ابى مليكة عن ابيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن ابى عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوارى فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومنى فيك اقوام أجالسهم * فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال ما لى لا ارى ابن ابى عمار فاخبر انه منقطع فى منزله لفرط ما به فاتاه ابن جعفر فلما رآه اراد ان ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل حب فلانة قال هو فى اللحم والدم والعصب والعظام قال اتعرفها إن رأيتها قال او اعرف غيرها قال فأنا قد ضممناها الينا والله ما نظرت اليها وأمر بها فخرجت فى الحلى والحلل فقال هى هذه قال نعم بأبى انت وأمى قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال إى والله وفوق الرضى فقال له ابن جعفر لكن والله لا ارضى ان اعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة الف درهم

## الباب السابع عشر

فى ذكر دواء علة الجوى * اقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب * الذى اعجز اهل الطب * فهم فيه حيارى * سكارى وما هم بسكارى * على ان الذى جمعوا عليه * واشاروا اليه * انه لا شفاء من هذا الداء العضال * الا بطيب الوصال * مثل غمز النهدين * وقرع الشفتين *

والتصاق البدنين *

رايت الحب ليس له دواء * سوى وضع الصدور على الصدور

ولا سيما ممن بدت نهوده * وتوردت خدوده * وعذب مذاقه * وطاب عناقه *

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال الآخر

شفاء الحب تقبيل وشم * ووضع للبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * واخذ بالمناكب والقرون

وقال آخر

اسقم قلبى ثم لم يبره * عاقد زنار على خصره
لا نلتقى روحى مع جسمه * حتى أرى صدرى على بطنه

وقال ابو جعفر العدوى

فسكر الهوى أدوى لعظمى ومفصلى * اذا سكر الندمان من لذة الخمر
واحسن من قرع المثانى ونقرها * تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

وقال ابو دهقان

حدثنا عن بعض اشياخه * ابو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفى العاشق مما به * بالشم والتقبيل حتى ينيك

وقال فى الأغانى قال ابو العيناء أنشدت ابا العير قول المامون

ما الحب الا قبل * وغمز كف وعضد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

فقال كذب المامون واكل من خرا ى رطلين وربعا بالميزان وأخطأ واساء الأدب هلا قال كما قلت انا

وباض الحب فى قلبى * فوا ويلا اذا فرّخ
وما ينفعنى الحب * اذا لم اكسر البربخ
وان لم يطرح الاصلع * فزجيه عن المطبخ

ثم قال لى كيف رايت قلت عجبا من العجب قال كنت ظننت انك تقول غير هذا قابل يدى فارفعها قلت قول المأمون ان نكح الحب فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزبانى ان اعرابيا قال علقت امرأة كنت آتيها فأخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا انى رايت بياض كفها فى ليلة ظلماء فوضعت يدى على يديها فقالت مَهْ لاتفسد ما صلح فانه ما نكح الحب الا فسد وحكى عن بعض الادباء انه كان يعشق جارية فقالت انت صحيح الحب كامل الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصل فى منزله لم يكن همه الا ان رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهى فى القالب
اسرفت فى نيكنا والنيك مصلحة * فأرفق بفضلك ان الرفق محمود
فأجابها وهو فى عمله لا يفتر
ولم انك نيك من تبقى مودته * لكن نيكى هذا نيك مجهود
فنفرت من تحته وقالت يا فاسق رأيك على خلاف ما قلت كانك تجعل جماعى سببا لذهاب حبك والله لا جمعنى واياك سقف بعد هذا ابدا وعلى هذا القول جماعة أعنى أن الحب اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد ايقاع الوطى وانه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبة كما قيل

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا * وصلا يجل على كل اللذاذات

وقال هدبة بن الخشرم

والله ما يشفى الفؤاد الهائما * نفث الرقى وعقدك التمائما

ولا الحديث دون ان تلازما * وتعلق القوائم القوائما

وقال آخر

قولا لعاتكة التى * فى نظرة قضت الوطر

انى أريدك للنكا * ح ولا أريدك للنظر

لوكنت مقتنعاً بذا * لك كان هذا القمر

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعاراً كثيرة منها

تقول وقد قبلتها الف قبلة * كفاك اما شئ لديك سوى القبل

فقلت لها حب على القلب حفظه * وطول سهاد يستغيض له المقل

فقالت وأيم الله ما لذة الفتى * من الحب فى قلب يخالفه العمل

واما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطاءى الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه فى ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك امران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع فى الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل * ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها بحلالها مدفوع *

وقال آخر

انا ذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات القلب والبصر

لا يضمر السوء ان طال الوقوف به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقال آخر

خود حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الحديث زوانياً * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسيأتى ما ورد فى هذا المعنى فى باب العفاف والثانى ما قاله العلماء فى اسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلف الاستفراغ

ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر
المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن
حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما تكره المرأة من الرجل
كما قيل * رأت حبي سعاد بلا جماع * فقالت حبلنا حبل انقطاع *
* اذا المحبوب لم يك ذا ممر * رأى المعشوق كالشئ المضاع *
وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر
كما قال بعضهم اذا ما شئت ان تسلو حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى
وقال الآخر
وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود
وقال الآخر
وقالوا دواء الحب حب يزيله * لآخر او طول التمادى على الهجر
وقال آخر
تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
وذكر الحافظ ابو عبد الله البخاري فى تاريخه باسناده ان محمد
ابن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا
لاكثرهم من عهد الثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان
اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على
الخاتم فلعله ينتهى عن ذلك والله اعلم * وقال شمس الدين
ابن الاكفانى فى كتاب غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه
اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج
الهندى اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن
منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات فى اجواف
الدجاج اذا محى فى ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه

ايضا وكذلك حجر السّلوان ومحكه باللبن ومن علّق عليه حجر القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان عاشقا لذكر وتمرّغ فى مناخ بغلة زال عشقه انتهى * تنبيه التداوى بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه واما التداوى بالضمّ والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوى بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذاك فانّ شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر * شربة يستعمل البوس والعناق * والشفاه الرقاق * فى قاعة وايوان * وبركة وشاذروان * وطعام سبعة الوان * وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان * ودنان خندريس * والف دينار فى كيس * وجارية من بنى الاتراك بساق سمين * وطرف كحيل * تستعمل هذه الحوائج على نطع احمر * ذى نقش اخضر * وبعد هذا يدخل الحمام * فانه مجرّب والسّلام * شربة اخرى يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافى وصال الحبيب * ومثقال من عيدان الجفا وخوف الرقيب * وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع * منقاة من غلث الهجر والانقطاع * واوقية من خالص الودّ والكتمان * منزوعة من عيدان الصدّ والهجران * ويؤخذ عطر النحور * ولثم الثغور * وضمّ الخصور * من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانيه * محكوكة مرضوضة منها خمسون صغارا سكرية * وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه * ويؤخذ غنج حلبى وشخير عراقى من كل واحد مثقالان ويؤخذ اوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصريه * ويضاف اليها حسن الاعكان المطويه * ويغلى الجميع بماء المحبّة على شراب الانس وحطب الطرب

في مرجل النحاس ويصفى الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل
فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام
ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق * ويضاف اليهـا
قلب لوز العناق * وماء ليمون الاتفاق * ويتناول بعد ذلك
ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من شيل السـاقين ويدخل
الحمام * فانه نافع والسلام ﷺ سيف قاطع * وبرق لامع
ساطع * فيما يتعلق بدواء علة الجوى وهو ما حكاه ارباب الرياضي
في الاعداد المتحابة وذلك ان في الاعداد اربعة وثمانين ومايتين
وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢ ٣ ٥
وحروف نطقه دفر وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مايتان
وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه ف ٥
وحروف نطقه كر فعدد عشرين ومايتين يحبه ابـداً
عدد اربعة وثمانين ومايتين فاذا كان عند انسان خاتم اولوح
فضة او ما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم
ثان اولوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده اربعة
وثمانون ومايتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومايتين فان
اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب
في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومايتين بالقـلم
الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد
المايتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين الذين قد تباغضـا
فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر مادامت الرقعتان معهما
فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب
اسم كل واحد منهما اولقبه المشهور وضع الحق في موضع يمران
عليه فانهما يتحابان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر
وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم

انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين حبة رمّان ومايتين وتطعم الاخر المبغوض فى ذلك الوقت بعينه مايتين وعشرين حبّة من الرّمان فأنهما يتحابان ومما يؤكد المحبّة فيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلّة من ريق كلّ من المتحابين الى معدة الأخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كلّ واحد منهما فى وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهوى فاذا استنشقاه دخل فى الخياشيم فوصل بعضه الى الدمّاغ فسرى فيه كسريان النوم فى جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فيدب الى العروق الضوارب فى جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبّة قال الشيخ مغلطاى وهذا الذى اميل اليه ويوشك ان يدوم ويثبت ولا يغيره مرّ الليالى وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فصل اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من اضعف الاقوال لان القرآن والسّنة والعرف والقياس يردّه قال الله تعالى ولهنّ مثل الذى عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزّوج عليها فهو حق لها على الزوج بنصّ القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضدّ المعروف ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرّة واحدة ومن زعم انّ هذا من المعروف كفاه طبعه فى الرّد عليه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها فى كلّ اربعة اشهر وتخيّر المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق فى الوطء اكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه فى تلك المدة وهو امثل من القولين

الأولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها بالمعروف
كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه ان
يشبعها وطأً اذا امكنه كما عليه ان يشبعها قوتاً وكان بن تيمية
يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه بن قيم الجوزية وقد حض
النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلق عليه
الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفي بضع احدكم صدقة
ففي هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول الأجر وفرح النفس
وذهاب افكارها الردية عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها
وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع
المواد الردية فأن صادف ذلك وجها حسناً وخلقاً دمثاً اى
سهلا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك
اللذة التي لا يعادلها شئ ولاسيما اذا وافقت كمالها فأنها لا تكمل
حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر
الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم
بتقبيله واليد بلمسه وتنعكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها
ويقابله المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شئ لم تزل النفس
متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك
تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل
جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبعي وهو ان الليل
وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل
انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل
لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا * وكان محمد بن المنكدر
يدعو في صلاته ويقول اللهم قو لي ذكري فان فيه صلاح
لأهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشى
اهله يقول اللهم شد لي اصله وارفع لي صدره وسهل على

مدخله ومخرجه وارزقني لذة وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك
قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا
خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن
الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

الباب الثامن عشر في تعنت المعشوق * على الصب
المشوق * وغير ذلك من اقسام الهجر * وصبر القابض فيه على
الجمر * اقول هذا باب عقدناه لذكر التجني * وقول
المحبوب اليك عني * فهو باب لمن مر به حلو المذاق * عطر الخلائق
بالاتفاق * لا يعرف طعمه الا من ذاقه * وعرف وصل الحبيب وفراقه
ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب * وتقول ضرب الحبيب
زبيب

شرط المحبة عند ارباب الهوى * ان المليح على التجني يعشق
لا يصدهم صد * ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حد * فكم
رأوا جور الحبيب عدلا * وقالوا الحذر اذا اقبل اهلا وسهلا *
* لا يأخذهم فيه لومة لائم * ولا يعدون جور بارد الظلم
من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

كأنها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

واحسن ايام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد النميري على هذا فقال

راحتي في مقالة العذال * وشفائي في قولهم لا تبال

لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب * لصب الا بحسن خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا تحركه * عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي صبرها او عندها جزعي * لكنت املك ما آتي وما أدع

ومن ابلغ ما قيل في عتب الاحباب * قول بعض الأعراب في محبوبته
شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو افتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الأجر من ربي
وقد قسموا الهجر على اربعة اقسام فقالوا هجر دلال * وهجر
ملال * وهجر مكافاة على الذنب * وهجر يوجبه البغض المتمكن
في الصدور * فأما هجر الدلال * فهو الذي من كثير من الوصال
وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة * فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب اخو الحياة وما له * من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبي

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يخشى ويتقي

وقال ايضا

زيدي اذى مهجتي أزدك هوى * فأجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك
ويستحب لمن وسم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال
ان يكون كثير التدلل * قليل التبذل * فقد قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثيراً لتيه ممتنعاً * فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لوجادها ن وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه
فاذا ابتذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لأن النفس
الحرة * لا تنفك عن غيره * وقد قال العباس بن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

واما هجر الملال * فيتبطه مرور الايام والليالى * اما بتناءى
الدار * او بطول الاختبار * حكى ان متيم الهاشمية لما
اشتراها على بن هشام حظيت عنده وأحبها حباً شديداً فاتفق
انها غضبت عليه فى وقت من الأوقات وتمادت فى غضبها
فترضاها فلم ترض فكتب اليها الأدلال يدعو الى الملال
ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمى القلب قلباً لتقلبه وقد صدق
عندى قول العباس بن الاحنف

ما أرانى الاسا هجر من لـ * ـير انى اقوى على الهجران
ملنى واتقى بحسن اخاء * ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر
الذى يتولد عن الذنب * فالتوبة تزيله من القلب * عند الاعتراف
بالذنب * ولا سيما اذا كان المحبوب

ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقى الله فى المحب وقد اف * لح من كان همه الاتقاء

واما الهجر الذى يوجبه البغض الطبيعى فهو الذى لا دواء
له قال الحصرى وهذا لا يصح بين ذوى الاخلاص * وذوى
الاختصاص * اذ حقيقة المشاكلة تمنعه * وصحة المناسبة
تدفعه * والذى اقوله انا ايضاً ان هذا القسم مرضه مما
لا يمكن علاجه * ولا يعذب أجاجه * فالمحبوب فيه لا يلام

* ومحبته كمن يرقص في الظلام * ويسلم على من لا يرد عليه السلام
احبابكم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به اعداؤه
اخذه الارجاني فقال

أأحبابنا لم تجرحون بهجركم * فؤاداً يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتموا قتلي وانتم أحبة * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتموا قتلي وانتم أحبة * اذاً فالأعادي واحد والحبائب

الباب التاسع عشر في الدعاء على المحبوب * وما فيه من الفقه المقلوب * كقولي

دعوت على الحبيب بعشق ظبي * يقاسي منه انواع الجفاء
فلو صاله وبالغ في صدودي * فكان اذا على نفسي دعاءي

اقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه * واراد ان يدعو على روحه فدعا على نفسه * فهو يتشهى ويشتكي * ويتشفى ويبتكي * لا يثبت على حال * ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضي والحال * فبيناهو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه * وبيناهو يدعو له اذا هو يدعو عليه * فمن احسن ما قيل في الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله تعالى * وجعل من الرحيق المختوم شرابه *

اعز الله انصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتداراً * وان تك ضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر دوماً * على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الأعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين

وقوله ايضا

ادام الله ايام الوصال * وخلد عمرها تيك الليالى
واسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

وقال علاء الدين على بن المظفر الكندى

ادام الله ايام العذار * وبارك فى لياليه القصار
واغنى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار
ولا زالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تضفو * ثياب العار فى خلع العذار

وقال ابن ابى الحديد

لا عانقتك من البرية كلها * الا يدى اليمنى وبند قباكا
كلا ولا رشفت رضابك بعدما * قد ذقته من فيك الا فاكا

وقال آخر

يارب ان قدرتم لمقبل * غيرى فللمسواك او للأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

ومن احسن ما قيل فى الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما ادعو على هاجرى * الا بان يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم فى حقى

وقال الآخر

يا ذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا
ولهتنى فيه حتى * اعاد رشدى ضلالا
ادعو عليك وقلبى * يقول يارب لا لا

وقال الآخر واحسن ما شاء

قد قلت لا مت حتى * اراك في العشق مثلي
وقلت في السر مني * يا رب لا تستجب لي

وقال الآخر

ايها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي
لا ازال الله عمري * او يريني بك مابي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي ان يرى قد * بك في مثل عذابي

وقال الآخر

يا رب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في طرف مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

وقال الآخر

كم جفاني فرمت ادعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لا شفى الله طرفه من سقام * واراني عذاره وهو سائل

وقال ابن سنا الملك

أسر لطول اسري في يديه * فيغضب ذا سر لطول أسري
سالت الله ان يبلى بعشق * فيصبح عاشقا لكن بهجري

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم مابي * وانت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي * وصرت في مثل حالي
بل عشت في طيب عيش * تفديك نفسي ومالي
دعوت اذ ضاق صدري * عليك ثم بدا لي

وقوله ايضا

فهم غالط مني فهما * جاءني يسأل عما علما
مقسما ما بلغته علتي * كاذب والله فيما زعما
رق للمظلوم منا رحمة * ثم لا ادعو على من ظلما

وقال بن منقذ

يا ظالماً يعرض عني اذا * دعوت غضبان على ظالمي
اظنه انت والا فلم * تخشى دعاءى دون ذا العالم
يا رب لا تسمعه فيه وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر

قلت لمحبوبي وقد مر بي * محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي يأخذ لي طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

وقال الآخر

ولما بدا لي انه غير زائري * وان هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت ان يهوى سواى لعله * يقاسي مرارات الهوى فيرق لي

الباب العشرون في الخضوع * وانسكاب الدموع

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اصبح دمعه مسكوباً على مسكوب * فبات وهو من جريانه كالرمح كما قيل انبوب على انبوب * ولا سيما اذا تمادى الهجر * اوكان عليه بعض حجر * هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر * وينشد ناعزم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو * ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لي * وانا السميع له المطيع
بالله قل لي ما جرى * بعدي فقلت له الدموع

وقال الآخر

قال لي من أحببت والبين قد جد * وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي * قلت ابكي عليك طول الطريق

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سري * وما اطلقت لي بالوصل اجره
ولم ارني على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعي في الشمس عصره
وقوله ايضا وهو من نثره الذي اصبح بين النجوم نثره * فيصل
حتى تنجلي هذه الغمره * وتقلع سحائب هذه السكره *
وتجف مناديل الجفون فأنها صارت بالدموع عصره * فقاتل
الله البين * ما اكثر فضوله بدخوله بين المحبين * وفي
هذا المعنى الباهر * يقول ابن عبد الظاهر *

لا تسلني عن اول العشق اني * انا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك ارخـ * ـت غرامي مستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الأماق

وقوله ايضا

لا تعذل المشتاق في اشواقه * حتى يكون حشاك في احشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

وقوله ايضا

وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل

وقول الآخر

شقت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

وقال الآخر في الخضوع * وانسكاب الدموع *

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

وقال ابراهيم بن المعمار

وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

وقال الآخر

وقائلة ما بال عينك مذ رأت * محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعة * فحق لها من فيض ادمعها غسل

وقال السري الرفاء

بروحي من ردّ التحية ضاحكا * فجدّد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه * كأنّ دموع العين تعشقه معي

وقال بن وكيع

وسحاب اذا همي الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الّا * ظل يذكي على القلوب الحريقا

وقلت من قصيدة حجازية

خليليّ روض الرقمتين طرازه * اذا لمع البرق الحجازيّ مُذْهب
فلا تعجبا من سحب دمعي اذا همت * فما كل برق لاح للعين خُلّب

وقلت من اخرى حجازيه

جفني القريح على الخدّين قد وكفا * فحسبه ما جرى من ادمعي وكفا
ان عزّ نظم دموعي حين انثره * فالدرّ ما عزّ حتى جاوز الصدفا
لا تعجبوا من وفا دمعي غداة جرى * من عينه ما جرى فالبحر فيه وفا
ما زلت ابكي على وادي العقيق الى * ان قيل هذاك من عينيه قد رعفا

وقلت ايضا من قصيدة

بكيت على ارض بها كنت ماشيا * فاشبهت في دمعي على صخرها الخنسا
تجرّأت يا دمعي فلم تجر دائما * فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما اقسى

وقلت ايضا من قصيدة

انّ عيني على العقيق اذا لم * يحك دمعي بلونه حمراء
منذ أمسي لجين دمعي نضارا * صحّ عندي لعيني الكيمياء
لا تسل ما جرى من الدمع لمّا * صار من عاذلي على اجتراء
اطلع الليل ادمعي فوق خدي * مثلما تطلع النجوم السماء.

وقلت من قصيده

لئن فترت عيني بجري دموعها * فشعر الذي اهوي كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاءه * فنهذا الذي حلت بطرفي عاقد

وقلت من قصيد

سقيت بحر الدمع بار رياضها * وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى * قطعت حبال الدمع من حيث رق

وقلت من قصيدة

خالفت فيك معنفا ونصيحا * واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فمدامعي * كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على سفح المقطم دمعه * تجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا

وقلت ايضا

الطرف من فقد الكرى * يشكو الأسى اليه
والخد من فرط البكى * يا ما جرى عليه

وقلت ايضا

ارحم رحمت لوعتي * وابعث خيالا في الكرى
ودمع عيني لا تسل * عن حاله يا ما جرى

كان المسعودي شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ما ذاك مني * لسلوة وعزاء
لكن دموعي شابت * من طول عمر بكاء

وقال الآخر

وقائلة ما بال دمعك ابيضا * فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
الم تعلمي ان البكى طال عمره * فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموعي ولا دمي * يرين ولكن لوعتي وتحرقي

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك اسودا * وقد كان مبيضاً وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعي من البكى * وهذا سواد العين فهو يسيل

وقال آخر

كانت دموعي حمراً يوم بينهم * فمذ نأوا اقصرتها بعدهم حرقي
قطفت باللحظ ورداً من خدودهم فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

وقال الناشئ الاكبر

بكت للفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الباب الحادى والعشرون فى الوعد والامانى * وما فيهما من راحة المعانى * اقول هذا باب عقدناه لذكر الامانى التى لابد منها * ولا غناء عنها فلا اقل منها *

اعلل بالمنى قلبى لعلى * أروح بالأمانى الهم عنى
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمنى

ولم يزل المحبون يعللون بالامانى نفوسهم * ويترعون براح راحتها كؤوسهم * فمنهم من فاز بالامنيه * قبل حلول المنيه * ومنهم من مات باعظم غصه * وما وقع له الحبيب على قصه

من نال من دنياه أمنية * اسقطت الايام منها الألف

وهذا النوع الاخير كثير * والسقيم به من المحبين جم غفير

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الامانى لم يزل مهزولا

نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد * بعيداً من لقاء الردا على ميعاد * يصدق قول الحبيب ويكذبه * ويمتحنه ويجربه * ويقول

مازلت منتظراً لوعد سيدى * فى البيت ملتفتاً لقرع الباب

يا كاذبا فى وعده بلسانه * منى لى بعض لسانك الكذاب

طالما آيس من وعد المحبوب * وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد عرقوب * كما قيل

وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

تنبيه قولهم فى المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعدا واخلف واصل المثل المذكور ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيئا فقال له عرقوب اذا أطلع نخلى فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيئا فضرب به المثل فى خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب قال الشماخ

وواعدتني مالا احاول نفعه * مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال بن حجاج

فديت من لقيني مثلما * لقيته والحق لا يصعب

فقلت يا عرقوب اطمعتني * فقال لم نفعك يا اشعب

وقلت انا من قصيدة حجازية

يهددني بالهجر فى كل ليلة * اصدق فيها وصله واكذب

ولما وردنا ماء مدين قال لي * وحق شعيب انت فى الحب اشعب

والناس فى الأمانى على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه * فيريح بها النفس * ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس * ومنهم من يقول ليس الترجى مما ينجى فيرى الامانى من الخداع * والوقوع فى النزاع * ولكل من القولين حجه * ومذهب مسلوك المحجه * ومن احسن ما سمعته فى القول الاول قول بعض بني الحارث

أمانى من سعدى حسانا كانما * سقتنا بها سعدى على ظماء بردا

منى إن يكن حقا يكن احسن المنى * وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقول الآخر

ولما حللنا منزلا طله الندى * انيقا وبستانا من النور خاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال افلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون

وقال غيره الأماني رفيق مونس إن لم ينفعك فقد الهاك

وقيل لأعرابي ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق واماني تقطع بها ايامك وقال القاضي الفاضل واحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت ايامنا * وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كالامنا *

اتمنى تلك الليالى المنيرا * ت وجهد المحب ان يتمنى

وقال ياقوت الرومي

لله ايام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى أن نتمناها

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

أصبوا الى البان بان عنه هاجرنى * تعللا بليالى وصلها فيه
عصر مضى وجلابيب الصبى قشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه

وقال العفيف اسحاق كاتب الانشاء للناصر داود

لولا مواعيد آمال اعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمنى
وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الأمانى مطلق الرسن

وقال ابن خفاجه

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا ان اضاحك ساعة * ثغور الأمانى فى وجوه المطالب
حسبت الدياجى فيه سود ذوائب * لها عنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقلت انا

رق للصب غداً مما يكابده * من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا اقصى أمانيه

وقلت ايضا

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحراً * لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا

كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما * ارى لداء غرامي في هواه شفا

وقال بن زيدون

لاسرحن نواظري * في ذلك الروض النضير

ولأكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال آخر

عللينى بوعد * وامطلي ما حييت به

ودعيني افوز منـ * ـك بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

وقال آخر

وشادن قلت له * هل لك في المنادمه

فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

وقال ابو بكر الحاتمي

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى * ما تعديته ولو بالمنون

اشتهى ان احل في كل طرف * لأراه بلحظ كل العيون

وقال ايضا

لأمانى قلبي فانت جميعه * يا ليتنى اصبحت بعض منالك

يدني مزارك حين شط به النوى * وهم اكاذبه اقبل فالك

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغـض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيـ * ـك باشراق ذا وبهجة ذاكا
ومما احتج به ارباب القول الثانى
واكثر افعال الغوانى اساءة * واكثر ما تلقى الأمانى كواذبا
وقال الخالدى
ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس اموال المفاليس
وقال بن شرف القيروانى
غلف تمنوا فى البيوت امانيا * وجميع اعمار اللئام امانى
وقال بن المعتز
لا تأسفن من الدنيا على امل * فليس باقيه الا مثل ماضيه
وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى اسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى * وحكى ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقه فيها لبن وهو يقول متمنيا انا ابيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى واخطب بنت الحجاج واتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقه وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال اليس لو رفست ابنى هكذا فجعتنى فيها وقال على بن عبيدة الامانى مخايل الجهل وقال غيره الأمانى تخدعك وعند الحقايق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى اراك ومن تهوى وانت كما * تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك انشد والامال حاضرة * هنيت بالملك والاحباب والوطن
فوعده الملك المظفر اذا تملك حماه أن يعطيه الف دينار فلما ملكه
انشده مولاي هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * فذا أوان الموعد الصادق
فوقع له بالف دينار واقام معه ولزمته اسفار فانفق فيها
المال الذي اعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال
ذاك الذي اعطوه لي جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبنا الله ونعم الوكيل
فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من داركان قد انزله بها فقال
اتخرجني من كسر بيت مهدم * ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم اعدم مكانا يضمني * وان مت تدري ذكر من سيموت
فحبسه المظفر فقال ما ذنبي اليك قال قولك حسبي الله ونعم
الوكيل فأمر بخنقه فلما احس بذلك قال
اعطيتني الالف تعظيما وتكرمة * يا ليت شعري أم أعطيتني ديتي
قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبي الله
ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فكان حاله معه كما قيل
فكنت كالمتمني أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمي
ولله القائل
ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع اذى * سوف ياتيك الاذى من قبله
ذكرت هنا قول الآخر
لما بدا العارض في خده * بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءني فيه العذاب الأليم

وقال بن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى نفضنى من يده ورفضنى من باله * وانت الذى فصلنى قبل ان يستكمل الوصل مدة حمله وفصاله *

وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم
لعل عينا أصابتنا فلا نظرت * أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الأجسام بالعلل
لعل الرضى منكم وكيف منالم * يسر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى فى النفس يروى اوامه * وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدنى الى امل * قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضى ممن كلفت به * يوما تبهرج ما قاله حسادى
لعل زمانا قد تولى سينثنى * الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع * يجررها الجانى على مفرق الذنب
لعل سلوا للفؤاد يعوده * وذا غلط حاشى فؤادى ان يسلو
لعل وما تغنى لعل وأنها * علالة صب واستراحة هائم
ولا أقل من التعلل بلعل * وما أقل غناها واكثر عناها

الباب الثانى والعشرون فى الرضى من المحبوب * بأيسر مطلوب * اقول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع * والعاشق القنوع * ممن يقنع من الحبيب بالنظر * اذا حضر * ويرضى منه بالسلام * ولو مرة فى العام * فهو فى الرضى منه بالنزر اليسير كما قيل (قليلك لا يقال له قليل)

انا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال المعرى

لا تقال فى العام الذى ولى ولم * يسألك الا قبلة فى القابل
ان البخيل اذا تمد له المدى * فى الجود هان عليه بذل الباذل

وقال جميل
اقلب طرفي في السماء لعله * يوافق طرفي طرفه حين ينظر
وقال ايضا
واني لأرضي من بثينة بالذي * لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا نلتقي وأوائله
قلت انظر الى هذا الشاعر الظريف * والعاشق العفيف
قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل * واكتفي باللمح من خلال الاستار
والكلل * ومن هذا المعنى المبتكر * قول ابن المعتز
الست أرى النجم الذي هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الأفق لحظي ولحظها * فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع
والعلم المشهور في هذا الباب * قول بعض الاعراب *
اليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علاني
كان الشيخ اثير الدين ابو حيان يقول عن صاحب هذه البيتين
هذا العاشق القنوع * وقال الآخر
الى الطائر النسر انظري كل ليلة * فأني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده * فنشكو جميعا ما تجن الضمائر
وقال بعض الأعراب
ومانلت منها وصلها غير انني * اذا هي بالت بلت حيث تبول
ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء في
طاقة فأحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة
الى ان اعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب
عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعي سيدتك
تبول في هذه فبالت له في الصحيفة وقالت للجارية اتبعيه

وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل الى ان دخل بعض الخربات فوضع
ايره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق
وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال
لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد ان تكون في ضيافتي
فقال له سليمان انا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة
كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد
الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي
الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده
من ذلك حولا كاملا واخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

البابُ الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح

اختلاط الماء بالراح * اقول هذا باب عقدناه لذكر من
افرط في العناق * اذا التفت الساق بالساق * فأصبح هو
ومحبوبه كالشيء الواحد في راي العين * حتى عند الأحول الذي
يرى الشيء شيئين * وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي
قلب صاحبها بالوصال * ولا ينقطع حبال دموعه
بالاتصال * كما قيل

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له * من شدة الحب قد بعدت فاقترب

وقال ابن الرومي

اعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما القى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه رشف ما حوى الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

وقال آخر

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد

فلو انّ روحي مازجت ثمّ روحه * لقلت ادن مني ايّها المتباعد
وقال ابو الحسين التونسي
ثم اعتنقنا فترانا معا * في ظلمة الليل ونور العتاب
جسمين صارا في الهوى واحداً * كشكلتين اختلطا في كتاب
وقال خالد الكاتب
كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد
وقال نفطويه النحوي
ولما التقينا بعد بعد بمجلس * نغازل فيه اعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه * فلم يفترق حتى توهمته بعضي
وما احسن قول ابي بكر الأربلي
هم الرقيب ليسعى في تفرقنا * ليلا وقد بات من اهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب اتى * فلم ير الا واحداً ولي على حنق
وقال سيف الدين المشد
ولما زار من اهواه ليلا * وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا * كأنّا واحداً في عقد كاتب
وقال آخر
توهم واشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما اتانا ما رأى غير واحد
قال قاضي القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين
البيتين امسكه امساك أعمى وقال ابو الفضل
سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفي حبائلكم * بسهم هجرك ترمي ثم تنويني
ومثل هذا القول في عدم السّلامة * وتوجيه الملامه *
قول بن سنا الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي
وبتنا كجسم واحد من عناقنا * والا كحرف في الكلام مشدد
لو قال كحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشدد في اللفظ
معدود عند العروضيين بحرفين واما في الخط فلا فعلى هذا
لا يتم له ما اراد * ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد * ولا
عذر له لأن الوزن ساعده واعانه على تحصيل هذه الفائده
وقال بعض شعرآء الذخيره
بتنا ورآء الحجاب يلحفنا * برد وقار والشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد * صارا كفرد بالروح يتصل
لو ان غيث السمآء امطرنا * لم يصب الارض تحتنا بلل
قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن
غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكره فكان في بعض
ما قاله انا اشعر الناس فقلت له بماذا قال قال بقولي
الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب
فقلت له والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال باي
شيء قلت بقولي
لا والمنازل من نجد وليلتنا * بفيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه يوما فما انفك لا اخذ ولا عضد
والاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكي
ومرتجة الارداف مهضومة الحشا * تمور بسحر عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور
ذكرت بقولي في اول الباب لأحول الذي يرى الشيء شيئين
قول بعض المغاربة في مليح له رقيب احول

بأبي رشا يحوي مع الاحسان * ملكية موضوعها انسانى
احوى الجفون له رقيب احول * الشئ فى ادراكه شيئان
ياليته ترك الذى انا مبصر * وهو المخير فى الغزال الثانى

وقال بن اسرائيل من دوبيت

قد بالغ فى حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذى حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لى لم ذا كلفت باحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن اوصاف اختها * فمالت بطول الدهر تنظرها شذرا

الباب الرابع والعشرون فى عود المحب كالخلال * وطيف الخيال * وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب * اقول هذا باب عقدناه لذكر من ادى به النحول * الى الذبول * واصبح كالطلل بين الطلول * فهو من شدة الضر * كما قال صر در

وكم ناحل بين تلك الخيا * م تحسبه بين اطنابها
فمحبوبه فى الجفاء واحد كالالف * وهو فى رقته كالخيال يمشى الى خلف * ولما رأتنى كعود الخلال * وجسمى كما ينسج العنكبوت
فقالت بموت الى كم تنيك * فقلت انيك الى ان اموت

والعلم المشهور فى هذا الباب قول المتنبى

أبلى الهوى اسفا يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد فى مثل الخلال اذا * اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا اننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقال ايضا

ولو قلم القيت فى شق رأسه * من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقال ايضا

الا م طاعية العاذل * ولا رأى في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
واني لاعشق من عشقكم * نحولي وكل فتى ناحل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبي الزائل

وقال المعمار

ترك اصفراري والنحول كلاهما * في العشق جسمي بنذر العشاقا
فكأنه الف بخط مذهب * جعل الدجى ارقي له اوراقا

وقلت انا من قصيدة

كأن ضباب الافق ندّ سرت به * نسيم الصبا من نحو رض الأحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم * ولم يبق منه غير صوت وأنة

وقال المتنفل

ان جفاني الكرى وواصل قوما * فله العذر في التخلف عني
لم يخل الهوى بجسمي شخصا * فاذا جاءني الكرى لم يجدني

وقال بن لؤلؤ

وأرقني خيال من حبيب * تناءت داره لما رآني
فمن سهري يلم فما أراه * ومن سقمي يطوف فما يراني

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر

ايها الصائد باللحظ ومن * هو من دون الورى مقتنصي
لا تسم طائر قلبي هربا * انه من اضلعي في قفص

وقال مضر المغربي

اذا به الحب حتى لو توهمه * بالوهم خلق لأعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه * لم يدره بعيان من يكلمه

وقال محاسن الشواء

ضنيت وضن من اهوى بوصلي * وعادني الخيال وكان عائد
فاشبهنا الذي للسقم نقصا * وان خالفته صلة وعائد

وقال الأرّجاني
ولولا اسناها لم يروني من الضنى * ولا اصبحوا من اجلها خصمائي
ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء

وقال آخر
قد كان لي فيما مضى خاتم * فدق جسمي فتمنطقت به
وزاد بي السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

وقال ابو العتاهيه
لم يبق الا القليل في وما * احسبها تترك الذى بقيا

وقال بن عبد ربه
رايت العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا لطاروا

وقال آخر
ولما ان راى اهلي سقامي * تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عني * مخافة ان أطير مع النسيم

وقال آخر
واذا عائد دنا للكلام * لعبت بي انفاسه في الفراش

وقال آخر
عبثت به ايدي الضنى فكأنه * سر خفي في ضمير كتوم

وقال ظافر الحداد
انحلني حبك يا متلفي * وزادني الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمي بي الهوى * في ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين القفعسي
يقول جسمي لنحولي وقد * أفرط بي فرط ضنى واكتئاب
فعلت بي يا سقم ما لم يكن * يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط في هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال * واحسن في المقال

واها على الخصر الرقيق وانما * قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أديرُ عليه معصم قبلة * فكأنّ تقبيلى له تعنيق

وقال الشيخ صفى الدّين الحلّى

مليحٌ يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

قلت اخذه من قول بلدينا محمّد بن العفيف التلمسانى واراد قصره على الحسن فقصر * وجرى خلفه ليعثر على المعنى فاعثر عليه بل تعثر * والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر * والخصر والخنصر * الا ترى قول ابن العفيف * وحلاوة منطقه الظريف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

وقال ايضا

شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلف جفنى ان رقط لا يعفو
فلانت لى الأعطاف والخصر رق لى * ولكن تجافى الشعر وانا قل الردف

وقال ايضا

تلاعب الشعر على ردفه * اوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل

وعلى ذكر الرّدف ما احسن قول الآخر

للبدر من وجنته نكتة * وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه رُدفه * كأنّه يمشى الى خلفه

وقال الشيخ صفى الدّين الحلّى فى مليح راقص

جاء وفى قدّه اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقدٍّ * تثنى الى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وقال بن رشيق

أحمل اثقالى على ردفه * وامسك الخصر لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

سالت النقا والبان يحكى لناظرى * روادف أو اعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

الباب الخامس والعشرون فى ذكر ما يكابده الاحباب * من الامور الصعاب * وغير ذلك مما يقاسوه من تحمل المشاق * والم الفراق كقوله

شكى الم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعى * فأنى ما سمعت ولا رأيت

اقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار * فى طلب الاوطار * فهو لا يزال مشغولا بحاله * متقلبا تحت أحماله * يقاسى فى طلب الحبيب من الاهوال * ما هو اثقل من الجبال * ويسمح فى مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال * قال الطغراءى

ومن طلب الاحبة كان سخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضى من دون مطلبه حسامه

وقال ايضا

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الأعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهرى

حملت جبال الحب فيك واننى * لاعجز عن حمل القميص واضعف

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح
وقال ايضا
احلى من الشهد من هويت وكم * فتت به في الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته * وثغره سكر سنينات
وقال آخر
ومليح قال صفني * انت في القول فصيح
قلت قولا باختصار * كل ما فيك مليح
وقال ابراهيم المعمار
ومليح قال صف حسني ازداد سرورا
كم حوى جفني معنى * قلت الفا وكسورا
وقال ايضا
حاكمت في شرع الهوى قاتلي * ولي دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظا له * يحقق الفتنة من عنده
ومال للحق فلما راى * قد غربي مال مع قده
وقال خطيب سمهود
قال لي من هويت شبه قوامي * وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل * صافحته يد النسيم فمالا
وقال السراج الوراق
قلت للاهيف الذي فضح الغصن بكلام الوشاة ما ينبغي لك
قال قول الوشاة عندي ريح * قلت اخشى يا غصن ان يستميلك
وقال آخر
قال لي اهيف المعاطف صف لي * هيفي قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمام
وقال النور الاسعردي
قد قنعنا بالخمر والماء والخضرة والاهيف الرشيق القوام

وتركنا مناصب الناس زهدا * فلماذا يؤذوننا بالكلام

وقال ابن خفاجة

ومهفهف طاوي الحشا * كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا انثنى * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

وقال كثير عزة

الله اعلم لو اردت زيادة * في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

* (وقال ايضا) * من ابيات وهو احسن ما قيل في حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد في الكامل

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وقال ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت * ود المحدث انها لم توجز

وقال ابن حمديس

لا يمل الحديث منها معادا * كانتشاق الهواء ليس يمل

وقال ابن ابي الحديد

بالله ضع قدميك فوق محاجري * فلقد قنعت من الوصال بذلكا
وأطل محادثتي فان مسامعي * تهوى حديثك مثلما اهواكا

وقال اخر

ومليح قلت ما الاسم * حبيبي قال ما لك
قلت صف لي وجهك الزا * هي وصفا لي اعتدالك
قال كالبدر وكالغصن وما اشبه ذلك

وقال العطوي

ذات خدين ناعمين ضنينين * بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير * من عقار وروضة من اقاح
وقال امرؤ القيس
خليلي مرا بي على ام جندب * نقضي لبانات الفؤاد المعذب
الم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب
وقال النميري واحسن في الوصف
وبيضاء مكسال الكعوب خريدة * لذيذ لذ تحليل النظام التزامها
كأن وميض البرق بيني وبينها * اذا حان من بعض البيوت ابتسامها
وقال ابن ابي ربيعة
طفلة باردة الصيف اذا ما * معمعان القيظ اضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى * تحت ليل حين يغشاه الصرد
وقال المتنبي
ارخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتني القمرين في وقت معا
وقال ابن المستوفي الاربلي
رأت قمر السماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رايت بعينها ورأت بعيني
*(قلت) * وللناس عليه كلام * ولهم على فهمه زحام * حتى
ان بعضهم وضع فيه كتابا وقال اخر
بروحي وجسمي ذلك العارض الذي * غدا مسكه فوق السوالف سايلا
درى خدها اني لجنت من الهوى * فاظهر لي قبل الجنون سلاسلا
وقال سعد الدين محمد بن عربي
لما تبدا عارضاه في نمط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط * وقال قوم انها اللام فقط
وقال اخر

رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه
وقال آخر
برزت فقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
ابكى فأنظر ادمعي في خدها * تجري فاحسب انها تبكي لي
وقال ابن قلاقس
فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا * وتبدى للجلنار
وقال الخبزارزي
رايت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر
وقال محمد السلامي
بدايع الحسن فيه مفترقه * واعين الناس فيه متفقه
سهام الحاظه مفوقة * فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته * هذا مليح وحق من خلقه
وقال ابن رشيق
معتدل القامة والقد * مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد
وقال ايضا
شكوت بالحب الى ظالمي * فقال لي مستهزئا ما هو
قلت غرام ثابت قال لي * اقرأ عليه قل هو الله
وقال شيخ الشيوخ بحماة
سألته من ريقه شربة * اشفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

وقال يحيى الخباز

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوش شاليش وقد تختشي * ان يتبع الشاليش بالقلب

وقال ابن اسد

اريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

وقال السراج الوراق

* قال من شبه ريقي * بالزلال العذب زلا *
* انما ريقي شهد * قلت ذا من فيك حلا *

وقال آخر

ظبي تري وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال آخر

ما انصفوا اذ لقبوه شاربا * من بعد ما امسى لقلبى آكلا

وقلت انا

يا صاح سكري من هوى اغيد * قوامه كالغصن ان ماسا
ساق متى ما لاح لى كاسه * ذكرني شاربه الآسا

وقلت ايضا

فتاة حين زارتني عشاء * رأيت الشمس ليلا وسط داري
فورد خدودها ما لاح الا * واحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها ليلا وطول * وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير لنا من شفتها عقارا * قريب العهد من كاس مدار

ومنها

عذرتك يا عذولى فيه قل لى * اذا لاح العذار فما اعتذاري
كانك ما شعرت بان حبي * غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط * قريب الشكل من قلم الغبار

سقاني من مقبّله شرابا * طهورا المريد بش باعتصار
واعقب وصله هجرا فقلبي * على حرف من الهجران هار
اذا ما قادني يوما هواه * مشيت وقطر دمعي كالقطار
ايطمعني بخفض العيش دهري * وجر الدمع فيه على الجوار

وقلت ايضا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان حسن

ترادفت التهاني والسرور * وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح * وافراح ولحباب حضور
بروج الافق فيها فرد بدر * وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ في دجاها * فما نامت ولا فتر الفتور

ومنها

اغار من النسيم بها اذا ما * تصافح كفه فيها الستور
اذا نشرت ذوائبها تبدى * لميت الحب في الدنيا نشور
لها ثغر يصون الدر مجا * يبيت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

الباب الثامن والعشرون

في ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين * من الرجال * وذوات الجمال * وما في معنى ذلك * من ذكر موالاتهم * ووصف آلاتهم * (اقول) * هذا باب عقدناه لنذكر من استراح من العناء * بسماع الغناء * من كل محب يشبب بالشباب * ويغني بالرباب * فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لا يلهيه عنه ملاهيه ولا سيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب * ويقيم الاعراب * ويشبع الالحان * ويعدل الاوزان * ويصيب اجناس الايقاع * ويعطي النغم حقه من الاشباع *

ويختلس مواضع النبرات * ويستوفي ما شاكلها من النقرات
* ويحسن الاختلاس * ويملأ الانفاس * وغير ذلك
مما هو معروف عند ارباب هذا الشان من القيان * ممن جمع
في ذلك بين الحسن والاحسان * (كما قيل

ما تغنت الا تفرج هم * عن فؤادي واقلعت احزان
يفضل المسمعين طيبا وحسنا * مثلما يفضل السماع العيان

والناس في الغناء كلهم عبيد معبد واسحاق الموصلي الذين
هما اطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من
ارباب التاريخ وفي معبد يقول حبيب

محاسن اوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

* وقال * البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كأن في نغماته * نبرات معبد في الثقيل الاول

* (ومعبد) * هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في ايام
الرشيد واخباره اشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني
وغيره * (واما اسحاق الموصلي) * فانه كان من اهل العلم
والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن
اشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغناء وميز
طرائقها تمييزا لم يقدر عليه احد قبله ولا بعده من
تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفا
واحدا وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ
مثله ومن كلامه حدود الغناء اربعة النغم والتأليف والايقاع
والقسمة * (وكان) * قد سأل المأمون ان يكون دخوله مع
اهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا اراده للغناء دعاه فاجابه
الى ذلك * (وقال) * الواثق ما غناني اسحاق قط الا ظننت
انه زيد في ملكي وان اسحاق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ

احد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر ملكى وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحاق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك اقداحاً تسلسلها * من الشمول واتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته * بعد الهجوع كمسك اوكتفاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشاء * تقبيل راحته اشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن فى زي غلام عليها اقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكل ما معها فى داره ومما لحنه اسحاق وله حكاية ظريفه

* قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا *
* قد بلغت الذى أرد * ت وان كنت لاعبا *
* واعترفنا بما ادعيـ * ت وان كنت كاذبا *

*(وقد تركت) * حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف فى اخبار اسحاق فى هذا الموضع وحكى ابو الفرج انه اهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال فخلا معها فى قصره يوماً واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن الفى جارية فى احسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فعظم ذلك عليها وارسلت الى علية اخت الرشيد تشكوا اليها فارسلت اليها علية لا يغيظك هذا فوالله لأردنه اليك وقد عزمت ان اصنع شعراً واصوغ عليه لحنا واطرحه الى جواري فابعثي الى كل جارية عندك والبسيهن انواع الثياب والجواهر حتى القى عليهن الصوت مع جواري ففعلت ام جعفر ما امرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت

عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن الفي جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن في نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عني وما * قلبي عنه منفصل
يا قاطعي فلي لمن * نويت بعدي ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل ام جعفر ومعه علية وهو في غاية السرور وقال لم ار كاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لا تترك في الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره في ذلك اليوم ستة الاف الف درهم وما سمع بمثل ذلك قط * وحكي عن القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبره فعزم عليه في الميل اليه فنزل واحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس اسبلت ظلماءها * فضياء وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رايته يكبر على الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده وما احسن قول ابن تميم في عواده

وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل
خاف من عركها اذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر

سقى الله ارضا انبتت عودك الذي * زكت منه اغصان وطابت مغارس
فغنى عليه الطير والعود اخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس

وقال ابن قاضي ميلة

جاءت بعود يناغيها ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر

فلا يزال عليه او به طرب * يهيجه الاعجمان الطير والوتر

وقال ابن حجاج

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب في الاحسان مسرور

اذا انثنت وتغنت خلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

وقال آخر

وجارية اذا غنتك صوتا * فما لك من فراق الحلم بد

كأن يسارها في العود برق * ويمناها اذا ضربته رعد

وقال آخر

اشارت باطراف لطاف كأنها * انابيب در قمعت بعقيق

ودارت على الاوتار جسا كأنها * بنان طبيب في مجس عروق

وقال النور الاسعردي في جنكية

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو باصناف الحان الورى هازى

لا غرو ان صاد البات الرجال لها * اما تراه يحاكى مخلب البازى

وقال الصلاح الاربلي واحسن ما شاء

الجنك مركب عقل في تشكله * والرق قلع له والاوتار اطناب

يجرى بريح اشتياق في بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه احباب

وقال ابن دانيال في دفية

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا

تبدي على الدف كالجمار معصمها * لنقرة ببنان يشبه البلحا

غناؤها برقيق الريح نترجه * فما ينقط الاكل من رشحا

وقال ابن عديم في مغنية

والله لو انصف الاقوام انفسهم * اعطوك ما ادخروا فيها وما صانوا

ما انت حين تغني في مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم اغصان

وقلت انا

وغانية مكملة المعاني * بلطف ما عليه من مزيد

اذا ما اطربتنا بالمثاني * تثنت بين رمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان اطرى * يواخيها الشقيق من الخدود
وقال آخر
بابي اغاني مطرب * ابدا وترضاه النفوس
نيشد وفنزنو بالكؤ * س له ونرقص بالرؤس
وقال آخر
وزامر يبعث في زمره * الى قلوب الناس افراحا
كان اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات ارواحا
وقال آخر في مشبب
ومطرب قد راينا في انامله * شبابة السرور النفس اهلها
كانه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها
وقال بن قرناص في مليح مشبب
مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ احيانا
هويت تسبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين احيانا
وقلت انا
رعى الله ارباب اليراع فانهم * ازاحوا اعتذاري عنهم باللهو والعذر
مواصيلهم من نغمهم كل ساعة * جلبنا اللهو من حيث ادري ولا ادري
وقلت ايضا ملغزا في شبابه
وما خرساء ان نطقت راينا * تناقض فعلها امرا عجيبا
منقبة وليس لها ازار * توافينا ولم تخش الرقيبا
فتاة ان خلوت بها وصحبي * رأيتهم معي فيها نصيبا
ينازعني هواها كل صب * وان لم تشبه الرشا الربيبا
فكم من عاشق فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا

تجدد لي اذا انطقت سرورًا * يعيذ زماني البالي قشيبا
ارق من النسيم الرطب صوتًا * واسرع في الورى منه هبوبا
تغازله دائمًا بعيونها من * يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومي اذا اماهمت فيها * وانشدني من الشعر الغريبا
وشبب لي بها ابدًا وقل لي * ضروب الناس عشاق ضروبا
فاعذرهم محب ذو ملال * واعذرهم اشبهم حبيبا

وقال المصيصي الخياط يهجو عوادًا

واذا تربع لا تربع بغدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلها * في عوده يقرض خبزًا يابسا

وقال آخر

غنى ابو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه * فاشرب فانت اليوم في حل

وابلغ ما قيل في ذم المغنى قول كشاجم

ومغن بارد النغمة * ممحل اليدين
ما رآه احد في * دار قوم مرتين

وقال آخر

ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتًا * فابى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى الفواد منا

وقال آخر

مغنية سوء الفاظها * يميت السرور ويحيي الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة * فلا للنكاح ولا للطرب

وقال آخر

ولربت زامرة يهيج زمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهتها لما علا ضربانها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر

بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

هذا مثل قولهم في المثل ابصر الحامل والمحمول ودار الوكالة

وقال آخر

كأنها في حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وما احسن قول الوجيه الذروي فيمن يغني بالرباب ويجمع بين الاحباب

لا تبعثوا بسوى المعذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب

طورا يغني بالرباب وتارة * يأتي على يده الرباب وزينب

## الباب التاسع والعشرون

في ذكر من ابتلي من اهل الزمان * بحب النساء والغلمان * اقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ما هم * تعرفهم بسيماهم * فمنهم من اتصف بالانصاف * وسلك طريقة السلف في العفاف * وهذا النوع فيما نظهر * اعز من الكبريت الاحمر * لم اره ولا رأيت من رآه * وان وجدنا اسمه فاين مسماه

فاشهد بصدق مقالتي * اولا فكذبني بواحد

هيهات بل قصارى اهل هذا العصر ان يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها في مجلس تشاكيا وانشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يتشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه على نكاحها امين الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا * الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قالت يا ابن اخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد وسئل اعرابي عن ذلك فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من اطايب الحديث بنصيب فكيف هو عندكم ايها الحضري فقال العض الشديد * والجمع بين الركبة والوريد * ورهز يوقظ النيام * ويوجب الآثام * فقال تالله ما يفعل هذا العدو فكيف الحبيب * قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم في العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه * وهنالك طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنائعهم وطبقة اخرى يبخلون بادیانهم وعقولهم عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض * بل مرض من الامراض * اذا وصلوا اليه اسرعوا بانصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى اخر العمر وهذا هو الغالب على اهل زماننا هذا وهو افسد انواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عند الشغل ويحدث عنه غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو اضعفها لا محالة وامر صاحبه سهل اذ هو يسلوا بالجفاء * ويجب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفا بالبولة جمره فمن اهل هذا العصر * من اقتصر على دمية القصر * فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع في الامرد العذار * وقال للسلو عز وجنته الحمراء النار ولا العار * ومنهم من قرن بين الفريقين * وجمع من المذكر

والمؤنث بين الضدين * فتراه يأتي على ما حضر * ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

انا الرجل البصير بكل امر * دخلت من التصابي كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبي * ولا يأبى مواصله الكعاب

وقد زاد ذيك الجن على هذا حيث قال

أعشق المرد والنكاريش والشيب * وعندي مثل البنين البنات
حد ما تنتهي وتعشق عندي * حيوان تحل فيه الحياة

وقال ايضًا

انا من قولي مليح * او قبيح مستريح
كل من يمشي على وجه الثرى عندي مليح
حد ما ينكح عندي * حيوان فيه روح

وقال ابن تميم مضمنًا

ومعشر عذلوا لما ركبت على * اخوى محاسنه فحسن فعلهم
دع يعذلوا اما استطاعوا انني رجل * لو استطعت ركبت الناس كلهم

وقال بعض مشايخ العصر

وعارض قد لام في عارض * وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طلعت ذقنه * فقلت لا افكر في ذقنه

وقال ايضًا

شيب وجدي بشايب * من سنا البدر وجهه
كلما شاب ينخني * بيض الله وجهه

وقال ايضًا بعض مشايخ العصر

وقد عنفوني في هواه بقولهم * ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني وافق * وحقكم بالوجد فيه الى الذقن

وقال ايضًا بعض مشايخ العصر

وكامل العارض قبلته * فصد عني وازور من قبلتي

وقال كم انهاك عن فعل ذا * وانت ما تفكر في لحيتي
وكتبت انا الى بعضهم
ليهن مولانا حبيب لم يزل * بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه * انبتها الله نباتا حسنا
فكتب الي الجواب عن ذلك
يا مادحا اللحية سلوانتا * عن روضها لما زها لن يحسنا
مذ نبتت فيه نباتا حسنا * قبلتها منه قبولا حسنا
فكان كما قيل
حاشا المتلي عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب
وقال ايضا بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا
كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخو العقل يدري ما يراد من الفتى * امنت عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
فقلت لهم لو كنت اصبوا الى الامرد * صبوت الى هيفاء مياسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فاثرت ان ابقى بابيضهم وحدي
وقال آخر وقد عشق عجوزا
كلفت بها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب
قال ياقوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصهم
بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل وقال فيهم الشاعر
كتب العذار على صحيفة خده * سطرا يلوح لناظر المتامل
بالغت في استخراجه فوجدته * لا راي الا راي اهل الموصل
ولقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل فمن رايته لا يخرج
عن هذا المذهب فلا ادري لم يخص به اهل الموصل فقيل
وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد

الميل الى الذكر لا تخلوا منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك
بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما لو الى من فى عذاره شيب
ويقولون هنا شعرة وشعرة اى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم
يسميه زرزوريا وهذا قل ان يوجد فى غير بلدهم وقدموا بهذا من
بين اهل البلاد هم واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطى
فليستنا الا لمن ينفقها على عايلته ووليداته ما نعطيها لمن
ياكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية
فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى
اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة
قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق * ائمة الفساق * ناكحى الذكران
وتاركى النسوان * وكيف اخذهم وهم فى خوضهم يلعبون *
وقطع دابرهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون * وكيف جمع
عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على امة من الامم اجمعين *
وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتاخرين *
قال لما تجرأوا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا لاخوانهم
طريقا وقاموا بها وقعد واضجت الملائكة الى الله من ذلك
ضجيجا * وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا * وهربت
الملائكة الى اقطار السموات * وشكتهم الى جميع المخلوقات *
وهو سبحانه قد حكم انه لا ياخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة
عليهم * والتقدم بالوعد والوعيد اليهم * فلما خالفوا الرسول
المرسل اليهم * ووقعت الحجة عليهم * فعل الله تعالى بهم
ما اخبر به فى كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما
هى من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور *
وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

قوله لما تجرأوا على هذه المعصية وتمردوا الخ قال الشيخ وكرر قال ثانيا للتاكيد والتنبيه على التشنيع له ه مصحح

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم * فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم * على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم * الم يتعدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراط التنافي العشق غير حميد
اتينا به الذكران من عشقنا لهم * فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب احق من * متابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم انذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا في النار غير بعيد

قوله مهلة اي واحدة المهل وقيل هو دردي الزيت وقيل النحاس المذاب وقيل غير ذلك ه مصحح

حكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما انا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة مكتوب على نحو سبعة اذرع

صلى الاله على لوط وشيعته * ابا عبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلاشك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

قال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان اثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري ازل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره واثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك ابو نواس قلت وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط

* (فصل) * في النظر الى وجه الامرد ذكر الحافظ محمد ابن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر وفي الكامل عن ابي هريرة نهى رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان
سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم الرجل يلح بالنظر الى غلام امرد
فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى
وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد
الرحمن بن وافد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم
ما لا تشتاق الى الجواري العواتق وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري
وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي
مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء حكى عن ابي سعيد الخراز
وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رايت
ابليس في منامي وهو يمر عني ناحية فقلت تعال فقال اي شيء اعمل
بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو
قال الدنيا ثم قال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة
الاحداث فاخذت العصا لاضربه فقال انا ما اخاف من العصا انما
اخاف من نور القلب قال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا من الابدال
كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث وحكى ابو عبد الله احمد بن الجلاد
قال كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميل الصورة فقلت اترى
يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال او نظرت اليه سوف ترى
غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلومات
النظر الى الامرد يوقع في سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق
الصور لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر
والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم من سكر
الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو في عسكر الاموات
سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى يفيق فتى به سكران
انشد لي بعض مشايخ العصر

يا من غدا بالمرد ذا الوعة * ما انت في فجتهم بالمصيب
في الخرد العين التي تشتهي * منهم ويفضلن بحب الحبيب

وقال آخر

حبك الغلمان امر * كنت النسوان عبث
انما يفسق في الظهر اذا اعوز بطن

على ان عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه * مما لا يدرك تلافيه * وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء قلت ولا سيما نساء هذا الزمان * من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرني شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب او الطاق كما قيل في معنى ذلك

شغل بالمرد يا البدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى * فعزاء يا معشر الفساق

وحكي عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض وادي تريد ان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها ان يقال في حقها

معزمة بالسحاق اضحت * تبكي عليه بكل عين
فما انتقت في الهتوك الا * تضييق اسحاق في حسين

حكي ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحاق فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الحبال ورجال وقال شيخنا زين الدين بن الوردي في نساء اهل العصر هذا الشعر فقال

قولوا لمن تهوى السحاق الذي * حرمه الله وما فيه خير
اخطأت يا كاملة الحسن اذ * اقمت اسحاق مقام الزبير

وقال آخر

قل لمن تدعي السخا * قال كم تسا حقي
ليس يشفي غليلك * من جميع الخلايق
غير ذا الاصلع الفقير * الحليق الجوالق

وقال ابن سناء الملك

يا هذه لا تستحي * مني قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تشا * ءب ان ايري قد تمطى

وقال بعض مشايخ العصر

ايري اذا ندبته * لحاجة تختص بي
قام لها بنفسه * ما هو الا عصبي

وسألني بعض الاصحاب ان انظم له مثل هذا فقلت واستغفر الله واتوب اليه

تأخرت بحيضها * قلت لها تقدمي
ايري هذا عصبي * يدخل معد في الدم

وقال بعض مشايخ العصر

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فاصبح لا يقوم لبدر تم * كان الخنثى قد ولي الوزاره

وقلت انا

يا ايران مر الحبيب مسلما * ولديار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك احمقا * ما في وقوفك ساعة من باس

وقلت ايضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى في الصيام الحب انشكي * ايري وقال اشترط ما شئت واحتكم
فالا مراوك ما عندي مخالفة * ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

وحكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان
بعد ان رد قول بعضهم

ولقد قال لي صديق قلت * ان رأني اضرّني الا افلاس
قد تمسكم بذا العمود فهذا الـ * اير يرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهري * اهله كلهم لئام خساس
اين من كان عندهم يرفع الاير على الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بمقادير الايور الكبار مات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين بن الشيخ رآى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلك ما مات وقال آخر

زعموا انني خسرت عليها * ليت شعري من اين تلك الخساره
من مغل من ضيعتي من قماشي * من بقايا اموال تلك التجاره
حضرتني فقام ايري اذذا * ك يحاكي بقطينة او خياره

وقال آخر

ويحك يا ايري اما تستحي * تخجلني ما بين جلاسي
تطلع من طوقي كذا عامدا * تنكس العمة عن راسي

وقال بن مطروح

سألت من امرضني * في قبلة تشفي الالم
فقال لا لا ابدا * قلت له نعم نعم
فقال غصبا قلت لا * الا سماحا وكرم
قال فسرا قلت لا * الا على رأس علم
قال فخذها بالرضى * مني حلالا وابتسم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

## الباب الثلاثون

في ذكر من اتصف بالعفاف * باحسن الاوصاف * اقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا * واظهرهم دليلا * واحسنهم سيره * وازكاهم سريره * واعفهم

مع القدره * ولاسيما بنو عذره * الذين هم اشد الناس
غراما * واعظمهم هياما * فلذلك قلت واقول لعشق
مع العفه في بني عذره كثير * والمقتول منهم عشقا جم غفير *
فان ذكر احدهم بالعفة فجميل جميل الصفات *
صادق العزمات * وسنورد من اخباره في هذا المقام
ما يصدق هذه الدعوى * ويحقق ان التسلي بالمحبوب
عن غيره ضرب من السلوى * فمن ذلك ما حكاه محمد بن
جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه
فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول
في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق
يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنه قد نجا وارجو
له الجنة فمن هذا الرجل قال انا فقلت له ما احسبك
سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال اني
لفي اول يوم من ايام الاخرة وآخر يوم من ايام الدنيا فلا نالتني
شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت يدي عليها
لريبة قط فما اقمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة
ومن غريب ما حكاه الزبير من اخبار جميل
ان بثينة المذكورة من بني عذره وبنو عذره قبيلة مشهورة
بالعشق في قبايل العرب واليهم ينسب الهوى العذري
لانهم اشد سائر خلق الله عشقا قال سعيد
ابن عقبة لاعرابي ممن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا
قال عذري ورب الكعبة ثم قال ولم ذلك قال لان في نسائنا
صباحة وفي فتياننا عفة وقال رجل لعروة بن حزام يا هذا
بالله اصحيح ما يقال عنكم انكم ارق الناس قلوبا قال نعم
والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت

ما لهم داء الا الحب وقال رجل من بني فزاره لرجل من بني عذرة تعدّون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال له والله لو رايتم النواظر الدعج * من فوقها الحواجب الزج * من تحتها المباسم الفلج * والشفاة السمر * تفتر عن الثنايا الغر * لاتخذتموها اللات والعزى ثم انشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رمينني * من النبل الا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وقيل لبعضهم ماكنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال

احل الخمار * واحرم ما وراء الازار * واطهر للحب * ما يرضي الرب *

وقال الحافظ ابو محمد الاموى ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع امرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمى نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا ابدا وانا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما انت صانع اذ ظفرت بها ولا يراكما الا الله قال والله لاجعلته اهون الناظرين لا افعل بها خاليا الا ما افعله بحضرة اهلها حنين طويل ولحظ من بعيد واترك ما يكره الرب ويفسد الحب وقيل لآخر ماكنت صانعا لو ظفرت بمحبوبتك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان في اثمها * ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها اني ان فعلت هذا للئيم * ولم يلدني كريم * قلت وممن اتصف من العفاف * باحسن الاوصاف * من الخلفاء هارون الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت

الذ اباك الرّبي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

آرى مآءً وبي عطش شديد * ولكن لاسبيل الى الورود

فقال له القاضي اوكلما قالت جارية شيأ تصدّق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافه مرتبه فانظر ما احسن عفة الجارية وامتناع هارون الرشيد مع شدّة شغفه بها ودخل عليه منصور ابن عمار فاستدناه حتى الصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا امير المؤمنين تواضعك في شرفك * احبّ الينا من شرفك * فقال عظني فقال من عفّ في جماله * وواسى من ماله * وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة مآء فلم تجدها الا بنصف الدّنيا اكنت تشتريها به قال نعم فلو تعسّرت عليك بعد شربها اكنت تشتري خروجها بالنصف الاخر قال نعم قال فقبّح الله دنيا تشتري بشربة مآء وبولة وحكى عن السلطان ملك شاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فاعجبته واستطاب غناءها فهمّ بها فقالت يا سلطان العالم اني اغار على هذا الوجه المليح الجميل ان يعذب بالنار وانّ الحلال يسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوّجها واقامت في عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل اكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد انّ السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسماية دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصوره وسلّمه اليّ وكنت قد ربّيت السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسماية دينار ثمّ تركني اياما وقال احضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلمّا كان بعد ايام قال احضره بعد العشآء الى الخيمة ونم انت واياه

على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب
كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل ان يقع
في المعصية فاخذت كتاره فاصلحتها وجئت بالمملوك وانا في قلق
فسهرت عامة الليل ونور الدين في اعلى البرج ثم غلبتني عيني
فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل
الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي واحضرت
الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني
نور الدين في اليوم الثاني وقال ياسهيل ان بعض الظن اثم فاستحى
فقال قد عرفت حالي وانت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت
حاشا الله قال فلم حملت الكتارة وجدثتك نفسك بالسوء وانا
معصوم لما رايت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت
اشتريته لعله يذهب عني ما انا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي
اريد كل يوم ان اراه فامرتك باحضاره فقالت اريد ان تحضره
الى البرج بالليل فامرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس
انام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان اصعده الى عندي
فتداركني الله برحمته فكشفت راسي وقلت الهي عبدك محمود
المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم
الذي عمر المساجد والمدارس والربط تختم اعماله بمثل هذا
فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث
به حدث واما انت فجزاك الله عني خيرا والله ان القتل عندي
اهون من المعصية ثم احسن اليّ (وحكى) عن فاطمة بنت
الخثعمي انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله
عليه وسلم الى نفسها للنور الذي رأته بين عينيه فابى وقال

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

يعني كتارة
ورقة الخنجر
كتارة والمراد
الة كالدبة

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم في المثل
واحد يشتهي التين وآخر يقطفه فحاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو
حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وانشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وانت لاخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا * واخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

(وممن) اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام بن الامام محمد
ابن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهوره وهذا موضع
ايرادها * ونشر ابرادها * فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة وزكاة
الوجه الحسن امكان اهل العفة من النظر اليه وحكى محبوبه
محمد وقيل اسمه وهب ابن جامع الصيدلاني انه دخل على امير
المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رايت منه ما تكره فقال
لا يا امير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن
وجهي ثم يقول اللهم انت تعلم اني احبه واني اراقبك فيه قال
فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت
في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي
وآليت ان لا ينظر احد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني
مغطى الوجه خاف ان يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت
رايت الساعة وجهي في المرآة فاحببت ان لا يراه احد قبلك
فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد بن واسع ينفق على
محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على
عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر الا هذا مع ما هو

فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكاية غريبة اضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع ادب اتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر انيق وقال في اوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وانت احد مغيريه * ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه * ومن عجيب ما تأتي به الايام ظالم يتظلم * وغابن يتندم * ومطاع يستظهر * وغالب يستنصر * ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب * وبدأت في كتاب الزهرة وانا في الكتاب * ونظر ابي في اكثره ومن الطف ما حكى عنه انه التقى هو وابو العباس بن سريج في مجلس ابي الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق من ان تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني اقول

انزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما
واحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست ارى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج فبم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت امنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه * واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه ايها الوزير ما اقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدي عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمني

في هذا ما يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن مقلتي * ولامنع نفسي ان تنال محرما * قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن) لطيف ما يحكى عن محمد ايضا ما حكاه ابو القاسم الصائغ قال قال لي محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلي باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لاني دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأياني تفرقا فآليت ان لا ادخل من باب كنت فيه السبب في الفرقة بين المتحابين فدخل على ثعلب فقال له اسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله اياما لنا ولياليا * لهن باكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غايب

ومن شعره

لكل امرئ ضيف يسر بقربه * ومالي سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلي كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسأل عن كيف

وقال ابن السراج في كتاب مصارع العشاق وعن ابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال دخلت على محمد بن داود الظاهري في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني ابي قال حدثني سويد بن سعيد قال حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى العقاف عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي

وانظر الى الشعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دب في عاج
وانشدنا لنفسه
ما لهم انكروا سواد لخديـه * ولم ينكروا سواد العيون
ان يكن عيب خده بدد الشعر * فعيب العيون شعر الجفون
فقلت له نفيت القياس في العفة واثبته في الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات في ليلته رحمه الله قلت وقد اختلف الناس في قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصري لحب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب احد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي في كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يردّ بها يعني قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل في كتابه المذكور ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لامرية في صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعي وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيي الدين النووي فانه اطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميتة طلاقا يعني من الشهداء هذا مع شدته في الدين وعدم مساهلته في هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودمع القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد الناجي
اذا مات المحب جوى وعشقا * فتلك شهادة يا صاح حقا

رَوَاه لنا ثقاة عن ثقاة * الى الحبر بن عباس نروى
وقال عبد الكريم القشيرى
ان المحب اذا توفى صابرًا * كانت منازله مع الشهداء
يروية اقوام غدوا فى صدقهم * علما وناهيكم بهذا الداء
وقال الحسن بن هانى
ولقد كنا روينا * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب * ان سعد بن عباده
قال من مات محبًّا * كان من اهل الشهاده
وقال بن رواحة الحموى واحسن ما شاء
لا موا عليك وما دروا * ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى * او كان هجر فالشهاده
وانه عكس قوله هذا فقال
يا قلب دع عنك الهوى واسترح * مما انت فيه حامدًا أمرا
اضعت دنياى بهجرانه * ان قلت وصلا ضعت الاخرى
وقال آخر
خليلى هل خبرتما او سمعتما * بان قتيل الغانيات شهيد
وقلت كانى حاضر اخاطبه
نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى * وعف الى ان مات فهو شهيد
فخذ عن مقال انت فيه مذبذب * فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذى يرويه ركب ذوى الهوى * به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم * فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون فى بحر المدامع عندما * تميل بهم سفن الهوى وتميد
اتبكى دوين الغام من عام منهم * وقد حد حولا للبكاء لبيد
قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة
العقود * المنقية النقود * المجبورة الكسور * العالية

القصور * مشتملا كل باب منها على بيت قصيد * ومجد مديد * يسقي ثمر غروسها * ويروي المجدب من طروسها * بعينين نجلاوين لو رقرقتهما * لنوء الثريا لاستهل سحابها

وما بقي الا ذكر مصارع العشاق * واخبار من اصبح من المحبين ميتا بالاشواق

ان لم امت في هوى الاجفان والمقل * فوا حيائي من العشاق واخجلي
ما اطيب الموت في عشق الملاح كذا * لا سيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا ما مت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفر الي وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل

وقال بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله

للعاشقين باحكام الغرام رضى * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * عهد الوفا للذي للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما اخبار من قتلوا * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

وقال جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن اضعف خلق الله اركانا

وقال آخر

ما زال يهوى المقلا * قلبي الى ان قتلا
الحمد لله الذي * مات وما قيل سلا

وقال آخر

ترى المحبين صرعى في ديارهم * كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا * ماتوا فان عاد من يهوون بعثوا

وقال محمد الواعظ

دعا لومي فلومكما معاد * وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى اهل التصابي * لما ماتوا ولو وردوا العوادوا

* (خاتمة الكتاب) *

في ذكر من مات من حبه * وقدم على ربه * من صغير وكبير * وغني وفقير * على اختلاف ضروبهم * وتباين مطلوبهم * ولاجل ذكرهم استسست قواعد هذا الكتاب * ودخلت فيه من باب وخرجت من باب * لا توصل منه الى ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا اشرع في ذكر مصارعهم * وعرض بضائعهم * اذ منهم الخاسر والرابح * والصالح والطالح *

* (فمنهم شقي وسعيد) *

* (ومنهم قتيل وشهيد) *

* (فمنهم شقي وسعيد) *

حكى ابو الفرج بن الجوزي قال ذكر لي شيخنا ابو الحسن علي بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم الق فلانة في الدنيا واخشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر ثم مات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما لقيت صاحبي في الدنيا واريد ان القاه في الاخرى وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم اسمع باعزب من هذه الحكاية * ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب * وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب * فابتلى من فراق محبوبته ودينه بداءين * ودارت عليه دائرة السوء في الدارين * وكيف لا وقد ورد بكساده في الحب دار البوار * واصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار *

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب
ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدي يرثي حبيبا
له نصرانيا واحسن ما شاء حيث قال

اخي بوداد لا اخي بديانة * ورب اخ في الود مثل نسيب
وقالوا اتبكي اليوم من ليس صاحبا * غدا انه هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا اوان تلهفي * وشدة اعوالي وفرط نحيبي
ومن اين لي ابكي حبيبا فقدته * اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسوما بالجمال خمارا فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به واقام ببابه في الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد والحدود وطول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم ان عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فافتصد في احدى يديه ودعا فاصدا آخر فافتصد في اليد الاخرى ودخل داره واغلق باب بيته وفجر الفصادين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذي هو فيه فادركوه وقد اشرف على الموت فصالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه ومن شعره فيه

انظر الى الشامة في خده من * الحاظه باللحظ جراحه
كانها من حسنها اذ بدت * حبة مسك فوق تفاحه

* ( ومنهم شهيد ) *

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن ابي زيد النحوي عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل ذكر لي ان فيه راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية من

بني تغلب كثيرة الاموال وانها هويت غلاماً مسلماً فكانت
تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما اعيتها
الحيلة اعطت رجلا مصوراً مائة دينار على ان يصور لها صورة
الغلام كهيئته ففعل ذلك فما زالت تأتي كل يوم الى تلك الصورة
فتلثم ما تحب منها ثم تجلس بازائها تبكي فاذا امست قبلتها
وانصرفت فما زالت على ذلك مدة فتوفي الغلام فعلمت فلحقها
عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل
تلثمها وتقبلها وبكت الى ان امست فباتت الى جانبها فلما اصبحنا
وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

يا موتُ دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بما فيها
اسلمتُ روحي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحشا ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاختماوها ودفنوها
الى جانبه واخذ واما لها فبت مغموماً بما آل اليه امرها فرايتها
في المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

اصبحت في رحمة مما جنته يدي * وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وعندا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابني رحمة منه واسكنني * مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذي صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت
واسلم معي اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

* ( ومنهم شهيد ) *

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين
ابو عبد الله مغلطاي اجازة سنة سبع وخمسين وسبع مائة

بالقاهرة المحروسة قال رأيت في الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا
وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة
فكان ياتي الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس ثم
موزونا ولا معنى له ملخصه ان حكاما من حكامهم اخذ ما لا
كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر
شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث في الليل يقرأ
سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث انجماعة قتلوا في المعركة
فقال له ابو يزيد يا مولاي كيف قتل هؤلاء قال له ماتوا في سبيل الله
تعالى فقال يا مولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له
المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان فحسبوه يتوله
فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده

* ( ومنهم شهيد ) *

ذكر بن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من
حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف .
وصار رحمة للناس فلما بلغها ذلك اتت فأخذت بعضادتي الباب
وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتني في السياق تعطفت * علي وعندي من تعطفها شغل
اتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل
ثم اغمي عليه فمات

* ( ومنهم شهيدان ) *

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من
اهل الادب والطرب يقال له علي عشقته جارية من جواري
القينات وواصلته فكان يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية
على غاية العشق له والميل اليه فلم يزل الاعلى ذلك حتى ماتت الجارية
عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها

واعراضه عنها فرآها فى المنام ليلة وهى تقول له

أتبكي بعد قتلك لي عليّ * فهلا كان ذا اذ كنت حيا
بكيت دموع عينك لي وفاء * ومن قبل الممات تسيء اليا
فيا قمرا برى جسمي وروحي * واهلكني وما ابقا عليا
اقل من النياحة والمراثى * فاني لا اراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكا حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

* ( ومنهم قتيل ) *

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي فى التاريخ المذكور اجازة قال حدثني طقطاي مملوك نايب الكرك الساكن بالحر نفش ان اخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا واقامت عنده مدة سنين فحنث فيها يوما فلما بلغها ذلك القت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بحضره علاء الدين استاذ دار نايب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هي قصة معروفة في تلك الحاره شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

* ( ومنهم شهيد ) *

ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح الاعور يجلس في مجلس ابي عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبي يقرأ ولم نعمر كم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي بالحد فمات واغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت انزلها فلم يفق الصوفي الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد ايام سألت عنه فعرفت

انه حضر عند جارية في الكرخ تقول في القضيب

وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمى عليه وسقط فتم اهل المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهي

يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج

ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج

وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى ما لهم في ذلك من المعاني وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وامره من مفردات الاخبار

* ( ومنهم قنيلان ) *

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكروني له فأحضرني بين يديه فلما رأى قبح صورتي كره النظر الي وامر لي بعشرة الاف درهم فأخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقة وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقة وكانت دجلة في غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فأكلنا ثم امر بالنبيذ والغناء فاشدته ان لا يفعل فأبى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عواده ما سمعت احسن من صوتها ولا احذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري انا خصصت بهذا * دون ذا الخلق ام كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا * ما ان ارى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو * ن ويبعدون فيصبرونا
وتراهم مما بهم * بين البرية خاضعينا
يتعذبون ويظهرون * تجلدا للعاشقينا

فقالت لها القوادة يا فاجره فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها في الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم القت نفسها في الماء وكان على راس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما راى ما صنعت الجارية القى المذبة من يده واتى الى الموضع الذي طرحت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماء فقال

انت التي عرفتني * كيف القضا لو تعلمينا
لا خير بعدك في البقاء * والموت ستر العاشقينا

ثم القى نفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم ير احد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمرو لتحدثني حديثا تسليني به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان راي امير المؤمنين ان يخرج الي جاريته فلانة تغني ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وامر من يخرج اليه ويأتيه براسه ثم اتبع الرسول برسول آخر يامره بان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فامره بالجلوس بعد ان لم يبق احد من بني امية حتى خرج ثم امر بها فخرجت ومعها عودها فقال لها الفتى غني

افاطم مهلاً بعض هذا التذلل * وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي
قال فغنت قال له يزيد قل الثاني فقال لها غني
تألق البرق نجديا فقلت له * يا برق اني بروحي عنك مشتغل
قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لي
برطل من شراب فأمر له به فلما شربه اشار اليها بأبيات فغنتها
ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه
فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون اكان الاحمق يظن
اني اخرج اليه جاريتي تغنيه واردها الى ملكي يا غلمان خذوا
بيدها واحملوها الى اهله ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا
بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله فلما توسطت الدار ونظرت الى الحفرة
في وسط دار يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها من بين ايديهم
وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت

* (ومنهم قتيل) *

حكى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية
بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك
رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك مالك مت قال
لانك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت اتانا
عند بابه فعشقتها فمت وانشدني

سيدي خذ بي اتانا * عند باب الاصبهاني
تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمي وبراني
ولها خد اسيل * مثل خد الشيقراني
فبها مت ولو عشت * اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا ابا معاذ ما الشيق اني قال هذا من
بقية الحمير فاذ القيتم حمارا فسلوه قلت وذكر جماعة من اهل
التفسير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن ابي عبد الرحمن السلمي
عن ابي منصور وكان له صحبة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله
تعالى عليه خيبر اصاب حمارا اسود فكلم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين
حمارا كلهم لم يركبهم الا نبي ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام غيرك وانا اتوقعك ان تركبني وكنت قبلك لرجل من
اليهود فكنت اعثر به عمدا فكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفور تشتهي الاتان قال لا
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا نزل عنه بعث
به في حاجته فيأتي باب الرجل فيدفعه براسه فاذا خرج صاحب
الدار عرفه واتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة
والسلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى
الله عليه وسلم فصارت قبره

* ( ومنهم قتيل ) *

قال محمد بن هارون حدثني فيما اذكره السراج قال اشتريت زوج
بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب
تحت المكبة حتى كادت ان تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت
فجاءت فلم تزل تضطرب في دم الذكر حتى ماتت وقال ابو عبد
الله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس ليس في جميع الطير
اوفى من القمري والقمرية وذلك انه اذا مات احد الزوجين تعزب
الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا فردا الى
ان يموت

* ( ومنهم قتيل ) *

ذكر الكيجي في تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم في المحبة في المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات

*( ومنهم شهيد )*

ذكر العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من اهل الادب فنزع بنا الحديث الى اخبار العشاق وفي الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا

فقال لها احسنت يا سيدتي اتاذنين لي ان اموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلي بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتي كلامي نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هي ميتة فاخذنا في جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها قول ابنتي ففعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد

*( ومنهم شهيدان )*

ذكر الشيزري في روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به

ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراماً فابى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فابى فسلطت عليه الصغار فاخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب قالت فاخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما اردت ادخلها منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيئاً عظيماً ورأيت قصراً من الجوهر فقال هذا لى ولك وانا لا ادخله الا بك والى خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره وماتت فى الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامى

* ( ومنهم قتيل ) *

ذكر ابو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهى تقول اين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك اظهرت له السرور وقالت تشتهى ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا ليأتيها بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فكثر ولهه بها فكان يمشى فى الطريق ويقول

يا رب قايلة يوماً وقد تعبت * كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقى على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

هلا جعلت اذ ظفرت بها * حرزا على الدار او قفلاً على الباب

فزاد هيمانه * واشتد هيجانه * ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يا رب قايلة يوماً البيت حتى مات

* ( ومنهم شهيد ) *

ذكر ابو القاسم الشروطى فى كتاب التسلى عن ابى الفرج الصوفى

وغيره انه كان عندهم رجل صوفي يعرف بابي القاسم الشوآء وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك قال فبينما هو يرعى يوماً عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيات الصحرآء يغني في حقل

ان هواك الذي بقلبي * صيرني سامعاً مطيعا
اخذت قلبي وغمض طرفي * سلبتني العقل والهجوعا
فاردد فوآدي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بحاجتيه * وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال الصبي وافبل نحوه كيف قلت فقال الجيد وكان يقال له حميد الفاخوري فتردد اليه ثلاثة ايام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يصيح فوآدي فوآدي الى ان قضى عليه

* (ومنهم شهيدان) *

ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق اسماء بنت عبد الله بن مسافر ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي فشكا ابوه الى ابيها خالد فقام بحمله الى داره ليزوجها به ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لا اشفق نساءها عليها صوريي لي مثاله فاني احب ان ازوره قبل موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب ابو الفتاة الى ابيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسي هما ما متعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر

اقاما على غير التزاور برهة * فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبر انحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

* ( ومنهم شهيدان ) *

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغساني تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثقل منها

الا ليت شعري عن غزال تركته * اذا ما اتاه مصرعي كيف يصنع
فلو انني كنت المؤخر بعده * لما برحت نفسي عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلي امرها زوجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانما هي من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق لها الف بعير فلما كانت الليلة التي اهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت

يقول رجال زوجوها لعلها * تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت في النفس التي ليس بعدها * رجاء لهم والصدق افضل قيل
وحدثني اصحابه ان مالكا * صروم كماضي الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت

* ( ومنهم شهيدان ) *

قال احمد بن محمد الغنوي فيما ذكره في ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءني ظرفاؤها فقالوا ههنا فتيان تحابا وقد اعتل احدهما فنريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر في وجهه فلما رآنا فرح لنا عن صاحبه فجلس اصحابي

حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال اوه قال الصحيح اوه فاذا قال العليل اوه من فخذي قال الصحيح اوه من فخذي واذا قال اوه من يدي قال الصحيح اوه من يدي الى ان قالوا فقد قضى رحمه الله فشد صحابي لحيي العليل وشددت لحيي الصحيح وما برحنا حتى دفناهما

* ( ومنهم شهيد ) *

قال ابو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندي وابو زبيد الطائي يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هو وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان صغيرين فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم ولا يجد حيلة حتى راى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها ويأنس بها الى ان قال لها هل تعرفين ام البنين قالت انك لتسأل عن مولاتي فقال انها لابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو اخبرتيها قالت نعم فاني لخبرها فمضت الجارية فاخبرت ام البنين فقالت ويلك هو حي قالت نعم قالت قولي له كن بمكانك حتى يأتيك رسولي ثم انها ادخلته في صندوق فمكث عندها حينا اذا امنت اخرجته فيقعد معها واذا عبر رقيب ادخلته الصندوق واهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى ام البنين قال فدخل الخادم من غير ان يستأذن ووضاح معها فلمحها ولم تشعر ام البنين فادى الخادم الرسالة وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت لا ام لك وما تصنع انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد

فاخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذى رأى وضاحا
دخله فقال له كذبت لا ام لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل
عليها وهى فى ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس
على ذلك الصندوق الذى وصفه له الخادم فقال لها يا ام
البنين هبى لى صندوقا من صناديقك قالت يا امير المؤمنين
هى لك وانا لك ايضا فقال اريد هذا الصندوق الذى تحتى
فقط فقالت ان فيه شيئا من امور النساء قال ما اريد غيره فقالت
هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا
حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك
شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا اثرك واذ كان
كذبا فما علينا فى دفن صندوق من خشب حرج ثم امر به فالقى
فى الحفرة وامر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا
التراب قال ابو مسهر فكانت ام البنين لا تزال توجد فى ذلك
المكان تبكى الى ان وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة
وذكر المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن
عبد الملك وفيه نظر

* ( ومنهم شهيد ) *

ذكر الشيزرى فى كتاب روضة القلوب انه رأى بحلب سنة
خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها
وانها احبت شابا خياطا فعملت الحيلة فى وصاله فلم
تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم اراد
تزويجها فانظرته حتى ارسلت الى الخياط فتزوجته عند
القاضى محيى الدين ابى حامد محمد بن محمد الشيزرى فلما بلغ
التركى ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس
فحمل الى المبيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة ايام

لا يأكل ولا يشرب حتى مات في تلك الايام

* ( ومنهم شهيد ) *

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازمًا للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته في خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرأه مني السلام وقل ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله

* ( ومنهم شهيد ) *

قال احمد بن ابي الحواري فيما ذكره الخطيب بينما انا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيًا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هي قالوا قوله تعالى الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال احمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتكلما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى * اما آن ان يبكي عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي * كتابا حكى نقش الوشي المتمما

ثم خر مغشيًا عليه فحركناه فاذا هو ميت

* ( ومنهم شهداء ) *

عن صالح المري قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ارني عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصًا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس في مصلى له فقرأت

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة وندر الدم من
منخريه ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه
على حاله قال صالح حتى ادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده
وهو على هذه الحال ثم اتيت به السابع فاستأذنا فاذا امرأة من
وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه
فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما
قال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا
ببصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا
عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن
القوم فاذا ثلاثة قد فاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما
الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي
فرضا فلما كان بعد ثلاثة ايام عقل

* ( ومنهم شهداء ) *

ذكر بن ابي الدنيا عن خليد قال كررت ليلة هذه الآية
كل نفس ذائقة الموت فنادي مناد كم تردد هذه الآية فلقد
قتلت بها اربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا

* ( ومنهم شهيد ) *

قال محمد ابو يحيى التيمي كان يختلف معنا شاب من النساك يقال
له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه
يفتن الناس اذا راوه فاكثر الناس القول فيه وفي صحبته اياه
فمنعه اهله صحبته وكلامه فذهل عقل ابي الحسين حتى خشي عليه
التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لي قل له لا تقربني ولا تأت مجلسي
فاني له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم انشا يقول

يا من بدائع حسن صورته * تثني اليه اعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق

لكنهم سعدوا بامنهم * وشقيت حين اراك بالغرق
قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

* ( ومنهم قتيل ) *

ذكر الشيزري رحمه الله في كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدب يقال له الوردي واصله من حمص وكان فاضلا اشاطرا في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبي من المضي اليه ثم انه ارسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدواً له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه الجأته الضرورة الى ان كتب الى ابيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة اطرق الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج مبلبلا الى باب المسجد فتقيأ قيأ اسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فاخبر ان كبده تفطرت فعالجه فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع

* ( ومنهم قتيل ) *

قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين واربعماية غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

* ( ومنهم شهيدان ) *

ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطيء فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما ابصرني انشا يقول

الا ما للحبيبة لا تعود * ابخل بالحبيبة ام صدود
مرضت فعادني عواد قومي * فمالك لم ترى فيمن يعود

فلو كنت المريض ولا تكونوا * لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عديد

قال ثم اغمي عليه فمات فوقعت الصيحة في الحي فخرج من آخر الماء جارية كانها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقعت عليه فقبلته وانشأت تقول

عداني ان اعودك يا حبيبي * معاشر فيهم الواشي الحسود
اذاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ حللت ببطن ارض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا * ولا لهم ولا اثر جديد

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فخرج من بعض الاخبية شيخ فوقف عليهما وقال والله لئن كنت لم اجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين فدفنهما في قبر واحد

* ( ومنهم شهيد ) *

قال ذو النون المصري فيما ذكره عبد الله محمد بن جعفر القنطري في اماليه بينا انا في ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر فاذا هي ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرايتها متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت قالت سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تساقطت الامواج المتلاطمات انت الذي سجد لك سواد الليل وبياض النهار في الفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي الغفار ثم انشأت تقول

يا مؤنس الابرار في خلواتهم * يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما * فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواكا
واما الذي انت اهل له * فكشفك للحجب حتى اراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هي ميتة فبقيت اتعجب مما رايت منها فاذا انا بنسوة قد اقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عني فغسلنها ثم اقبلن بها في اكفانها فقلن لي تقدم فصل عليها فصليت عليها وهي خلفي ثم احتملنها ومضين

* (ومنهم شهيد) *

عن حماد المراكبي فيما ذكره المعافى في كتاب الاندلس قال وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال فبعث في شرائها فاتي بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فامر فخرجت اليه فلما نظر اليها اعجب بها واعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم . فقالت قتلتني والله يا سيدي ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وانشات تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا * يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله ان يكفيك حربا * ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وانشا متمثلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها * واذ هي تذري الدمع منها الانامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتني * وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها واكرم محلها واصلح لها كلما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجواري الى وقت رجوعي

فلولا

فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النسآء ولو باتت بأطهار

لكان لي ولها شأن ثم خرج فلم يزل يتقاعدها ويصلح من حالها ما امره به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعي المأمون فلمّا بلغها ذلك تنفّست الصعدآء وانشأ وهي تجود بنفسها

ان الزمان سقانا من مرارته * بعد الحلاوة انفاسًا واردانا

ابدى لنا تارة منه فاضحكنا * ثم انثني تارة اخرى فابكانا

انا الى الله فيما لا يزال لنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا

دنيا نراها ترينا من تصرّفها * ما لا يدوم مصافاة واحزانا

ونحن فيها كانا لا نزايلها * للعيش احياؤنا يبكون موتانا

* (ومنهم شهيدات) *

ذكر ابو الحسن القارئ ان علي بن صالح ذكر له ان جارية من جواري القيان عند اهل البصرة كانت تميل اليه وتحبّه وتكلف به وكانت موصوفة بالادب شاعرة فكره وارسلتها تحضر يومًا عند بعض اهل البصرة وكانت عنده قال فلمّا طاب عيشنا في يومنا فلم التفت اليها فاطرقت هي ايضًا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت اهل المجلس والقت المنديل فاخذه فاذا فيه

لعلّ الذي ابلى بحبّك يا فتى * يردّك لي يومًا الى حسن العهد

قال علي فما هو الا ان قرأت الشعر حتى وجدت في قلبي من امرها مثل النار ففمت وانصرفت خوفًا من الفضيحة ثم لم ازل اعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تشعر فتيسّر ذلك حتى ملكتها فلم اوثر عليها احدًا من حرمي ولا اهلي ولم يبق عندي شيء يعدلها فتوفيت فانا لا عيش ولا سرور بعدها والله ما البث

بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات اسفا عليها وكمداً فدفن الى جانبها ومما يحسن هنا

فقفي لخبرك ما صنع الغرام * عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل في ثوبي صداد * وقد القى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور * كوامل لا يفارقها التمام
وفي الاحداج ذو لعس لماه * لنا كاس وريقته مدام
رمي وقلوبنا الاغراض فانظر * بعينك هل يطيش له سهام

* ( ومنهم شهيدان ) *

ذكر المرزباني عن ابي الحسن علي بن الحسين الصوفي المعروف برباح قال حدثني بعض اصدقائي انه دخل بيمارستانا ببغداد فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفي يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد احسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال علي فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى اكل ثم قلت له هل بقي لك من حاجة قال نعم ولا اظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان ييسرها قال تمضي الى نهر الدجاج الى درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغفلة فاطرق وقل ان فلانا قال لي

سر للحبيب وقل له * مجنونكم من اخله

قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الي عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت

ارجع اليه وقل له * علتنا كم من اعله

فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت

الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت الصوارخ في الدار وقد ماتت الجارية

* ( ومنهم شهيدان ) *

ذكر الاصمعي انه رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت منه لأسأله عن حاله فقالوا اذكر له شيأ من الشعر يكلمك فقلت

سبق القضاء بانني لك عاشق * حتى الممات فاين منك المذهب

فشهق الفتى شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم انشا يقول

اخلو بذكرك لا اريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا

ابكي فيطربني البكاء وتارة * بابي فيا أني من احب اسيرا

فاذا اتى سيح بفرقة بيننا * اعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت له اخبرني عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملني والقني على باب تلك الخيمة ففعلت فانشا يقول بصوت ضعيف

الاما للمليحة لا تعود * ابخل ذاك منها ام صدود

فلو كنت المريضة كنت اسعى * اليك ولم ينهنهني الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك وسترتهما بثوبي خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعي فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ احمد بن محمد بن علي الآبنوسي في اخباره

* ( ومنهم شهيدان ) *

ذكر ابن دريد عن الرقاشي قال قال عسكر بن الجميح الاسدي كان لي صديق من الحي وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان ياتيني فيشكو شوقه الي فما لبث ان مرض عمه

مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفي بالنظر اليها ثم يخرج الى مسرورا الى ان برئ عمه فقال

ابكي من الخوف ان يبري فيحجبها * ولست ابكي على عمي من الجزع
لامات عمي ولا عوفي من الوجع * وعاش ما عاش بين الياس والطمع

فخطبت الجارية فزوجها ابوها فجاءني الفتى فودعني وقال هذا وداع لا نتلاقي بعده ابدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه فقلت واين تذهب فقال اذهب ما وجدت ارضا ونهض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه

* ( ومنهم قتيلان ) *

ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسي كان جالسا مع ندمائه وقد اخذ الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع * اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا * منك على رأسي فما اصنع

قال وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا

* ( ومنهم شهيد ) *

قال محمد بن بشر الانصاري وليت صدقات بني عذره فبينما انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت مابك فقال

كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدي من شدة الخفقان

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى
قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي كان فيه ثم خمد فنظرت
فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذري

* ( ومنهم شهيد ) *

يروى ان الحكم بن عمر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى
تعز بصبر لا وربك لا ترى * بشام الحمى اخرى الليالى الغوابر
كان فؤادي من تذكره الحمى * واهل الحمى يهفو به ريش طائر
فوقف وقال على بالرجل فجئ به فقال ويحك من انت قال انا رجل
من اهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك فى الحمى فقال مالى
الى ذلك سبيل ولى بتلك البلاد اهل وولد قال انى احملك الى اهلك
وولدك فقال لا حاجة لى فى هذا قال ليس من ذلك بد وامر به ان
يحمل فاضطرب فى ايديهم حتى مات

* ( ومنهم شهيد ) *

عن الاصمعي قال خرجت اريد بعض احياء العرب فادركنا الليل
فأويت الى الجبانة فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول
من القبر
انعم الله بالجبابين قبرا * وبمسراك يا سعاد اليتا
وحشة ما لقيت من خلل القبر * عسى ان نراك او ان تريتا
قال فارقت ليلتى فلما اصبحت دخلت الحى واذا
بجنازة قد اقبلت فسالت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن
عم لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية بعد ان مات وها هي
قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذى بت
عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم بما سمعت فتعجبوا من ذلك

* ( ومنهم شهيد ) *

حكى الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بني نهشل فخرجت في طلبه اريد اليمامة فلما صرت على ماء لبني حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسالتهم القرى فاجابوا فانخت ناقتي تحت بيت لهم من جريد النخل وفي البيت جويرية سوداء فخرجت جارية كانها القمر فسالت الجارية السوداء لمن هذه الناقة فاشارت الي وقالت لضيفكم فعدلت الي وسلمت وقالت ممن الرجل قلت من بني نهشل قالت فانتم الذي يقول فيكم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول

اخزى الذى سمك السما مجاشعا * واحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فاعجبتني فلما رات ذلك في وجهي قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة اذ ذكرى * بها اهل المروة والكرامه
الا فسقى الاله سحاب غيث * بجود بسحه بلد اليمامه
وحيا بالسلام ابا نجيد * واهلا للتحية والسلامه

قال فانست بها وقلت اذات خدر ام ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * لكالقمر المنير المستنير
ومالي في التبعل من مراد * ولو رد التبعل لي اسيري

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشات تقول

تخيل لي ابا عمرو بن كعب * كانك قد حملت الى السرير
فان تك هكذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فقصدت رخ النساء وسالت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسالت عن عمرو فقيل لي ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة

فسالت

فسألت عن عمرو فاذا انه قد مات فى ذلك الوقت من ذلك اليوم * قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية اعجب من جميع ما تقدم فان كلاً من اوليك حصل له الموت عند تحقق الياس من محبوبه اما بمعاينة موته او اخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة فقد الالف وتحقق الياس يغمزان القلب وهلة واحدة فتحتقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادهمه فيفيض الدم وتذهب الروح واما هذه فلطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الا ما يرد عليها من ذلك الانين فكان بمنزلة المصباح الذى للبصير فلما ذهب عن القلب الحس بفقده كما يحس البصر بذهاب نور المصباح اذا طفى

* ( ومنهم شهيد ) *

قال فى منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته من اخبار المتاخرين فى تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه واخفى ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم فمه بل صدره ومات على كتمانه ولم يبح بشانه فمن قوله فيه

هذا خيالك فى الجفون يلوح * لو كان فى الجسم المعذب روح
يا سالما مما اكابد فى الهوى * هل يشتفى من قلبى التبريح
غادرتنى غرض الردى وتركتنى * لا عضو لى الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك فى دمى * لو بلغت حينى الردى فتريح
لو عاينت عيناك قذفى من فمى * كبدى ودمعى مع دمى مسفوح
لرأيت مقتولا ولم تر مقتلا * ولخلت انى من فمى مذبوح
قل للذى علقت منه منيتى * أأباح قتلى يا ظلوم مبيح

كبدي على صدري جرت والجمتي * اغدو وأعذب في الهوى واروح

* (ومنهم شهيد) *

قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة وعاقبه به ان كان مغرما بجارية له تسمى غادرا وكانت احسن الناس واطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بالك امير المؤمنين فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي هارون يلي الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وامر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فلم يزل هارون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لي بكلما احلفك به انني اذا مت لا تتزوج غادرا فرضي بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هارون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا امير المومنين كيف نصنع بالايمان التي حلفنا بها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها احسن من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي في حجره اذا انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما بالك فديتك روحي فقالت رأيت اخاك الهادي في المنام وانشدني

اخلفت وعدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح * وصرت حيث غدو صائر

قالت ثم ولى عني وكانت الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها
كلمة فقال هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير
المؤمنين ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت في تلك الساعة
فلا تسأل عن حال هارون وما لقي بعدها

* ( ومنهم قتيل ) *

اخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين ابو عبد الله
مغلطاي بسنده عن ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي
الطبيب الاديب قال كنت اختلف في النحو الى محمد بن
الخطاب في جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم بن سعيد
الاسلمي قاضي قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون
واحمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم
وفارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك الى ان فشت اشعاره
وجرت على الالسنة وتوشدت في المحافل فلعهدي بعرس
في بعض شوارع قرطبة والزامر يغني بقول احمد بن كليب

اسلمني في هوا ٭ ٭ اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة ٭ يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد ٭ سيسأل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي ٭ على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ
انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على
بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائرا
ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره
نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا
وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل في بعض الليالي
ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم

واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصًا فيه بنيض
ونحن بين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم
اليه وقبّل يده وقال يا مولاى تأمر من يقبض هذا فقال له
اسلم ومن انت فقال اجيرك فى الضيعة الفلانية فامر
اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد
قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند ورودهم
منها فجعل يسأله عن الضياع ضيعة ضيعة
فلما جاوبه انكر الكلام فتامّله فعرفه
فقال له يا اخى بلغت بنفسك الى هٰهنا تتبعنى اما كفاك
انقطاعى عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على
بابى نهارا حتى انقطعت عن جميع ما لى فيه راحة وقد صرت
كأنى فى سجن والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلى
ولا جلست بعدها على بابى ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف
احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا
فقلنا لاحمد وخسرت دجاجك وقفصك قال هات كل
ليلة قبلة فى يده واخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من
رؤيته البتة نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد بن
الحسين فاخبرنى شيخنا ابو عبد الله محمد بن خطاب انه
عاده قال فوجدته بأسوء حال فقلت له الا تتداوى فقال
دوائى معروف واما الاطبا فلا حيلة لهم فى البتة فقلت له
ما دواءك قال نظرة من اسلم فلو سعيت فى ان يزورنى
لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله يؤجر قال فرحمته
وتقطعت نفسى له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه
فاذن لى وتلقانى بما احب فقلت له لى اليك حاجة فقال وما
هى قلت قد علمت ما جمعك مع احمد بن كليب من زمام

الطلب عندي فقال نعم ولكن قد علمت انه برّح بي وشهر اسمي
فآذاني فقلت كل هذا مغتفر في مثل هذه الحالة التي هو فيها
فتعوده فقال لي والله ما اقدر على ذلك فلا تكلفني هذا
فقلت له لابد من ذلك فليس عليك في ذلك شئ وانما هي
عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت فقم الآن
فقال والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال
نعم قال فانصرفت الى احمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد
امتناعه فسرّ بذلك سرورا شديدا فلمّا كان من الغد
بكرّت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتني
على خطة صعبة عليّ وما ادري كيف اطيق ذلك قال
فقلت له لابد ان توفي بوعدك لي فاخذت رداءه ونهض
معي راجلا فلمّا اتينا منزل احمد وكان يسكن في آخر درب
طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمرّ وخجل وقال لي يا سيّدي
السّاعة والله اموت ولا اقدر انقل قدمي ولا استطيع
اعرض هذا على لساني قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت
المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا
فاتبعته فاخذت بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت
منه قطعة في يدي لشدّة امساكي به ومضى ولم ادركه
فرجعت ودخلت على احمد بن كليب قال وقد كان غلامه
دخل اليه اذ رآنا من اوّل الزّقاق مبشّرا قال فلمّا رآني
تغيّر وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصّة فاستحال
من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه اكثر
من التوجّع فاستشنعت الحال وجعلت اتوجّع وقمت قال
فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم قال اسمع
مني واحفظ عنيّ ثم انشا يقول

اسلم يا راحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادى * من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لى قد كان قال فخرجت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ ابو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بنى خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابى عبد الله محمد بن سعد الخولانى الكاتب قال فعرفتها وقال لقد اخبرنى ثقة انه راى اسلم هذا فى يوم شديد المطر لا يكاد احد يمشى فى طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له قد وتخير غفلة الناس فى مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحى

* ( ومنهم قتيل ) *

حدث الخالدى فى كتاب الزيارات باسناد عن ابى بكر احمد بن محمد الصنوبرى قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان فى دكانه مجلس كل اديب وقد كان حسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر المعوج الشامى الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجها واحلاهم قدا واظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبى فى الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده فى دكانه

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لي برء من السقم
ترى العوالم لا تدري بمن كلفي * وانت اشهر للصبيان من علم
ثم شاع خبره بعشق الغلام في الرها فلما كبر وشارف الاحتلام
احب الرهبنة وخاطب اباه وامه في ذلك والح عليهما حتى اجاباه
وخرجا به الى دير زكي بنواحي الرقة وهو في نهاية حسنه فابتاعا
له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فاقام الغلام
فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه وهجر اخوانه
ولزم الدير مع الغلام وسعيد في خلال ذلك يعمل فيه الاشعار
فانكرت الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه وحرموا عليه ان
يدخل قلايته وتوعدوه باخراجه من الدير ان دخل اليه فاجابهم
الى ما سالوه فلما راى سعيد امتناعه منه شق عليه وخضع
للرهبان ورقق لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا في هذا اثم وعار
ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير اغلقوا الباب في وجهه
ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد
وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف
الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان
يهيم ويعمل الاشعار قال ابو بكر الصنوبري ثم عبرت انا والمعوج
الشامي ببستان بتنافيه فرايناه جالسا في ظل الدير وهو
عريان وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه
فقال دعاني من هذا الوسواس اتريان ذلك الطائر الذي على هيكل
الدير واوما بيده الى طائر هناك فقلنا نعم فقال ويحكما يا اخواني
انا اناشده منذ الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى عيسى
ثم التفت الي وقال يا صنوبري معك الواح قلت نعم قال اكتب
بدينك يا حمامة دير زكي * وبالانجيل عندك والصليب

ففي وتحملي مني سلاماً * الى قمر على غصن رطيب
وقولي سعدك المسكين يشكو * لهيب جوي احر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انا مت فاكتب حول قبري * محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له مائتا رقيب

ثم تركنا وقام يغدو الى باب الدير وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه وما زال كذلك زماناً حتى وجد في بعض الايام ميتاً الى جانب الدير وكان امير البلد العباس ابن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وباهل الرها خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان وقال لهم ابن كيغلغ لابد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولابد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة اهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادرى ما كان منه

## * ( ومنهم شهيد ) *

قال ياقوت في تاريخه كان مدرك بن علي الشيباني شاعراً اديباً فاضلا وكان كثيراً ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من اولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيى وكان من احسن الناس صورة واكملهم خلقاً وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لا غير فان حضر شيخ او صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوماً الى المجلس فكتب مدرك

رقعة وطرحها في حجره فقرأها فاذا فيها

بمجالس العلم التي * بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة * غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة * الله في تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها من كان في المجلس وقرأوها فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل يتبع عمرًا حيث شاء وقال فيه شعرًا كثيرًا قال الحريري وقد رأيت عمرًا ابيض الرأس واللحية ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهوره وهي

من عاشق ناءٍ هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران * موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه * يشكو اهوًى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه * كأنما عافاه من اضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى * من ادمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما اجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي * بادمع مثل نظام السلك
تطفيها نار الهوى وتذكي * كأنها قطر السماء تحكي
الى غزال من بني النصارى * عذار خديه سبي العذارى
وغادر الاسد به حيارى * في ربقة الحب له اسارى
ريم بدار الروم رام قتلي * بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلي * وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به اي هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد * كأنها ناسوته حين اتحد
ما ابصر الناس جميعا بدرا * ولا راوا شمسا وغصنا نضرا

احسن من عمرو وقد بت عمراً * ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها انا ذا بفقده مفقود * والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود * لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سعت في نقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
يا ليتني كنت له صليبا * اكون منه ابداً قريبا
ابصر حسناً واشم طيبا * لا واشياً اخشى ولا رقيبا
يا ليتني كنت له قربانا * الثم منه الثغر والبنانا
او جاثليقاً كنت او مطرانا * كيما يرى الطاعة لي ايمانا
يا ليتني كنت لعمرو مصحفا * يقرأ مني كل يوم احرفا
او قلماً يكتب بي ما الفا * من ادب مستحسن قد صنفا
يا ليتني كنت لعمرو عوده * او حلة يلبسها مقدوده
او بركة باسمه معدوده * او بيعة في داره مشهوره
يا ليتني كنت له زنارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
واكبدي من خده المضرج * واكبدي من ثغره المفلج
لا شيء مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
اليك اشكو يا غزال الانس * ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي * لا تقتل النفس بغير النفس
جد لي كما جدت بحسن الود * وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل الصد * فليس وجد منك مثل وجدي
ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا افيق
محترقاً ما مسني حريق * يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم ومن ضنى طويل
ام هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل

في كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقا الى شمس وبدر وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ أسعدته لقد سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح * الا استمعت القول من فصيح
يبيح عن قلب له جريح * ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى في مهده المنحوت * عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدام * يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفى ويبري اكمها وابرصا
بحق محيى صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا * مستعملين يعبدون عيسى
بحق مارى مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما في قلة الميرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد اشمونى وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر * وعيد مرمارى انعظيم الذكر
بحق شعياء وبالهياكل * والدخن اللاتى بكف الحامل

يشفى بها من كل خبل خابل * ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العبّاد * قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن لهادى
بحق اثنى عشر من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الدجا جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالحكم
بحق ما فى محكم التنزيل * من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبأ جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحق لوقا ذى الفعال الصالح
بحق يمليخا الحكيم الراجح * والشهد آبا الفلا والصحاصح
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح * وعابد باكٍ ومن سياح
بحق تقريبك فى الاعياد * وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيتك للاكباد * بما بعينيك من السواد
بحق ما قدس سعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه * عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم * وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم * موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدموا الكاس لكل حاسى
بكل ناموس له مقدم * يعلم الناس ولما يعلم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وما حوى مفرق رأس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق * بالفصح يا مهذب الاخلاق

الا رغبت فى رضى اديب * باعدة الحب عن الحبيب
قد ذاب من شوق الى المذيب * اعلى مناه ايسر القريب
فانظر اميري فى صلاح امري * محتسبًا فى عظيم الاجر
مكتسبًا فى جميل الشكر * فى نثر الفاظ ونظم در

(فتيل) ثم ان مدركًا وسوس ونسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عايدا مع جماعة من اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو وقال فمضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو واخذ بيده وقال كيف تجدك يا سيدي فنظر اليه ثم اغمي عليه ثم افاق وهو يقول

انا فى عافية الا * من الشوق اليكا
ايها العايد ما بي * منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسما وعد قلـ * ـبا رهينا فى يديكا
كيف لا يهلك مرشو * ق بسهمي مقلتيكا

ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى

* (ومنهم قتيل) *

قال العلامة ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزي فى كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من اهل شيرز تزوجت رجلا جنديا اعجميا وكانت تجد به وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان اذا مشى

الى نوبته الى القلعة تأتزر وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف
فاذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيسكن بعض ما تجده فدخل
عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما
دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان ذلك
لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها
لم يرفع طرفه اليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت
خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك غضبه لاجلها فرجعت
وجعلت في رقبتها حبلا وشدته في السقف فاختنقت
به وماتت

* ( ومنهم شهيد ) *

قال الوداعي حكى الامير شهاب الدين احمد العقيلي ان شرف
العلي هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح
وتزيا بزي الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق
ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد
في نواحي حلب قيل له ان شرف العلي في هذه الارض فارسل
اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان
في مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا والق
شرف العلي به فلما رأى القدح اخذه بيده وشربه وانشد
في الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملي * فالله يجمع شملك
بحق رأسك دعني * حتى اقبل نعلك

* ( ومنهم قتيل ) *

وهو مما رأته عيناي وسمعته اذناي ووعاه قلبي وذلك
اني لما كنت في دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة
اتفق ان شابا من ابناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان

كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله انكر فعزاه ليضربه بالسياط
فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى لا تضربه فانه ما قتله
وانما قتلته انا فاحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل
واطلق الشاب وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه
القصة واطلع على باطنها توقف فى قتله وامر بحبسه فلم تمض الا ايام
قلائل حتى حضر ادغون الكاملى من حلب عوضا عن ايتمش فى نيابته
بدمشق فكان اول شئ حكم فيه من الدماء شنق ذلك العاشق المسكين
بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق
والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها
وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها
واخبرنى عن القاضى زين الدين بن السفاح واخيه القاضى شمس الدين
وجماعة من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه ان ناصر الدين
محمد بن بكتوت احد كتاب المنسوب المعروف بالقلندرى انه كان
يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه فى كيس حرير اطلس معلق
فى رقبته تحت ثيابه فاذا احضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه
اخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم
يتفق له بكاء شديد انشد

لا متعت عين محب بما * يسرها ان هى لم تسجم

ثم انه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكى انتهى
ما اخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم
حكاية غريبة وهى ما حكاه المسترد عن النميرى ان رجلا قدم على الملك كسرى
انوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من
كمال اخلاقه المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة
الوجد وطول الكمد بالف فارقه فى بلده فمطله كسرى بالاذن وحمله
على التسويف فبينما هو على هذه الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده

ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت
لكسرى فاذا هي كلام موزون بالموسيقي بيتا كل من الشعر العربي

لا متعت عين محب بما * يسرها ان هي لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه * من التباريح ولم يصرم

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفا وجزعا فاسعدته عينه اليسرى
ولم تسعده اليمنى فاقسم ان لا ينظر بها ما عاش في الدنيا
ان لم تسعده بالبكاء على حبيبه وهي اقوى حاسة من اليسرى
فكان يسمى الصابر قلت ومن غريب ما يحكى ان ناصر الدين
القلندري المتقدم ذكره كان يضع المحبرة في يده الشمال والجلد
من الكاغد على زنده ويكتب منه وهو يغني ويضرب برجله الارض
ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن واخبرني بعض
من كتب عليه ان من غريب ما شاهد من حاله انه كان يهوى شابا
من اولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به يوم
عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسي فعذبها * ورمت تخليصها منه فلم اطق
ادرك بقية نفسي فيك قد تلفت * قبل الممات فهذا آخر الرمق

قلت ولكن هذا ما وقع عليه الاختيار * وطابت به
لابن ابي حجلة حين سقط بمصر اوطار * وكيف لا وقد
سقطت منه على الخبير * واتيت من اخبار من غفر الله لنا ولهم
بالجم الغفير * فشهداؤه من اعيان المشاهد * وقتلاه وان
اختلفت اسباب موتهم فداؤهم واحد * ففي ذلك والحمد لله
كفايه * وان كان التقصير قصيرا غير مقصود عن الغايه
* على ان في رحلتي نشر العلمين * في زيارة الحرمين *
ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمه * والامواج العظيمه لهذه
الابحر المتلاطمه * لا جرم اني لم اذكر من اخبار اهل الحجاز

الا مما اشار اليه هذا الكتاب ببنان بيانه * وبدا من ورقه وقلمه
على صفحات وجهه وفلتات لسانه * فكم في الرحلة المذكوره
* في ذكر من مات على هذه الصوره * من اخبار متيم امتنع
من هجوعه * واصبح غريقا بسحاب دموعه *

لذى سمرات الحى برق يسامره * يذكره بالثغر ما هو ذاكره
يذكره عهد العذيب وما حوى * على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليماني لعينه * فما هو الا وشيه وحبائره
سقى السفح من ذيل المقطم عارض * تعارضه من دمع عيني مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه * اوائله لا تنقضي واواخره
تطاول ليلي في هواه ولو يشا * لقصره من حجبته مقاصره
فيا للهوى العذري ما العذر عندما * تغادر يومي مثل ليلي غدائره
صحا ما صحا من زال في الحب عقله * بسكرة حب لا تزال تخامره
ابرد ما القاه يا جارتي وقد * سباني ظبي فاتن الطرف فاتره
احاول منه وصله كل ساعة * فتمنعني استاره وستائره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى * بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسرى جواده * فيحفر في قلب المتيم حافره
فلولاه ما امضى امير ذوى الهوى * ولا نفذت في العاشقين اوامره
ولولا سطا السلطان في مصر ما مشى * مع الذئب ظبي كان قبل يحاذره
هو الناصر المنصور والعادل الذي * بباطنه ما جاز في الملك ظاهره
له في سبيل الله خير ذخيرة * وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودرياقه في الثغر عقرب نبله * وسمر عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو اهله * فكم امنت في قطرها من يجاوره
جواد غدت نعماه منا قريبة * وان بعدت في الشرق عنا صنوبره
فما عابه ان الجنود جنائب * وما ضره ان البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم * واشهب كالبازي ينفض كاسره

فاذ كان يوماً لما هو كاسر * ولا كاسر يوماً لما هو جابره
ولله سر في علاه لاجل ذا * تباهي به فوق الشرور سرائره
وتستقبل الآمال كعبة جوده * كما استقبل البيت المعظم زائره
فأي نوال ما اضاعت شموسه * وما هي ان حققت الا دنانيره
هو البحر الا ان منهل جوده * موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحري ونظمي دره * لما عرضت يوماً عليه جواهره
اجود فيه المدح كل عشية * واذ كار فكري بالثناء تباكره
اذا تاه مدحي في دجايل نفسه * عن القصد دلته عليه مآثره
عثرت على الشعر الجو د فاومات * الي وقالت انت والله شاعره
فمدحي له مدح المحب حبيبه * اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبي له ما ان يقاس بغيره * لاني قيس الحب فيه وعامره
وقد مات قلبي اول الحب وانقضى * ولو مت امسى الحب قد مات آخره

تم طبع هذا الكتاب المستطاب * بعون الملك الوهاب
* في المطبعة التي بخط الاستاذ الشعراني رضي الله عنه
وذلك في اواخر شهر ذي القعدة من شهور سنة ١٢٦٩
وقد اعتنى بتصحيحه جماعة من الادباء
والحمد لله اولاً وآخراً باطناً وظاهراً
وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الامي وعلى آله
وصحبه وسلم *
آمين